43

# الإنساني

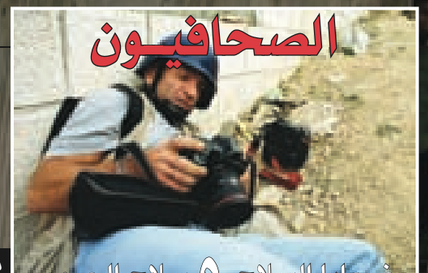

## الصحافيون

ملف

ضحايا السلاح و سلاح الحروب

تصدر كل ثلاثة شهور عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر

ICRC

غير مخصصة للبيع | العدد الثالث والأربعون | صيف 2008

# أزمة الغذاء: عالَم أكثر فقرًا وجوعًا

بعد تزايد حالات عدم الاحترام للمهام الطبية، أطلقت اللجنة الدولية للصليب الأحمر، بالتعاون مع جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ووزارة الصحة الفلسطينية حملة توعية في الأراضي الفلسطينية المحتلة لتسليط الضوء على ضرورة حماية عمل الطواقم الطبية والمرافق الصحية.

وينص القانون الدولي الإنساني على احترام وحماية أفراد ووحدات ووسائل نقل الخدمات الطبية في جميع الأحوال وعدم تعريضها لأي اعتداء.

♦ أزمة الغذاء ♦

الكاريكاتور: **صلاح جاهين** (1930–1986)، [ مصر ]



# صيف قاس

**ها** هو فصل الصيف يطل علينا مرة أخرى، ليس فقط بموجاته الحارة التي تلفح وجوهنا، ولكن أيضا بتزايد في إدراكنا أن ما نفعله بكوكبنا ينقلب رسميا الآن ضدنا. فلم تعد التغيرات البيئية والمناخية تؤثر على درجات الحرارة صيفا وشتاء فحسب، بل باتت تنعكس سلبا على مأكلنا ومشربنا وأيضا على فرص حصولنا على الغذاء في الحاضر والمستقبل.

لطالما سمعنا خلال العقد الماضي عن الاحترار العالمي وذوبان الأنهار الجليدية وطبقة الأوزون، ولكن كم مرة غيّرنا من نمط حياتنا حفاظا على كوكب الأرض والطبيعة الأم؟ ليس بالكثير بالرغم من الصرخات التحذيرية التي يطلقها حماة البيئة وأحزاب الخضر. ففي أفضل الأحوال، نصف هؤلاء في منطقتنا بالرومانسية، وفي أسوأ الأحوال نتجاهل تحذيراتهم فحسب.

إلا أن المنظمات الإنسانية وغيرها من المنظمات بدأت خلال الأسابيع الماضية تدق ناقوس الخطر، إيذانا بأن الأمور لن تستمر على حالها وأنه ينبغي علينا تغيير عاداتنا الغذائية، وأن الأطعمة ستفقد عناصرها الغذائية من الآن فصاعدا، أكثر الناس فقرا سيكونون ـ كما هي العادة ـ أكثرهم تضررا.

وتتناول مجلة «الإنساني»، من خلال موضوع الغلاف، هذه المأساة من كافة جوانبها وترسل استغاثة إلى كل شخص بيده أن يغير أي شيء، أيا كان حجم هذا التغيير، كإعادة تدوير الورق والتقليل من استخدام مادة البلاستيك أو القيام بأي فعل صغير من شأنه الحفاظ على الغذاء الذي نأكله والهواء الذي نتنفسه...

إلا أننا بتنا نستنشق أيضا الأخبار مع كل شهيق وزفير، بحكم تعدد الأجهزة الإعلامية وظهور وسائط إعلامية جديدة على السطح. فأينما نولي وجوهنا يلاحقنا النقاش والسجال وتتعدد الروايات للقصص نفسها. رأينا في هذا العدد من المجلة أن نحاول استكشاف دور الإعلام في نزاعات اليوم من خلال ملف خاص. فهل بات للإعلام الآن دور في النزاعات؟ وهل يقوم أحيانا بتأجيج النزاع أم أنه كما يدعي غالبا يهدف إلى تضييق الخلافات ومد الجسور؟

لقد ساعدتنا نخبة متنوعة من رجال الإعلام والباحثين على مناقشة هذه المسألة من زوايا مختلفة. فلا يخفى على أحد أن الإعلام في عصرنا يأتي إلينا بالأحداث دون أن نبرح أماكننا ويجعلنا جميعا بطريقة أو بأخرى مشاركين فيها. لذا بات من الصعب أن يغمض أي شخص عينيه أو يصم أذنيه تجاه القضايا السياسية المثارة لاسيما في منطقة مشحونة بالانفعالات والآراء كمنطقة الشرق الأوسط.

وقد يتساءل المرء عما إذا كان ذلك أمرا جيدا أم سيئا؟ وهل هو إحساسٌ بناءٌ أن نشعر بأننا مشاركون في النزاع سواء بسبب التغطية المباشرة أو تعرضنا الدائم للآراء الساخنة والخطب الملهبة للمشاعر؟ لا توجد على ما يبدو إجابة شافية على هذه التساؤلات. إن انتشار مصادر جديدة للمعلومات (التليفزيون والإنترنت والمدونات وحتى الرسائل عبر الهواتف المحمولة) قد سمح قطعا لمزيد من الناس بالمشاركة في النقاش العام (شريطة حصولهم بالطبع على الأدوات الأساسية التي تمكنهم من ذلك). ولكن هل إتاحة هذه المنابر جعلت الناس أكثر وعيا وتفهما «للآخر» المختلف أم زاد ذلك من معارضتهم «للرأي الآخر»؟ وماذا عن أولئك الذين لا يمتلكون الإمكانيات اللازمة لاستخدام وسائل الإعلام الحديثة؟ هل هم إذا مستبعدون تماما عن أي نقاش عام أو عن المشاركة في صنع ما يعرف بـ «الرأي العام»؟.

يطرح الملف الخاص بالإعلام هذه التساؤلات فضلا عن تساؤلات كثيرة أخرى حول دور الإعلام عند تغطية النزاع وكيفية تأثيره على متلقي الأخبار.

وعندما نتحدث عن النزاعات لا يسعنا بالطبع إلا أن نلقي الضوء على الأوضاع المعقدة التي تشهدها منطقتنا. فمن الأوضاع الصحية في غزة إلى ندرة المياه في العراق، نتساءل كالمعتاد عن كيفية جعل الحياة محتملة أكثر بالنسبة للسكان الذين يعانون من أوضاع العنف والاضطراب. ونحن في اللجنة الدولية للصليب الأحمر نستقبل فصل الصيف مشمرين عن سواعدنا، إذ إننا نعلم أن فصول الصيف قد تكون قاسية ●

"الإنساني"


**الإنساني**

تصدر كل ثلاثة شهور عن
**اللجنة الدولية للصليب الأحمر**

رئيس التحرير **تمارا الرفاعي**
مدير التحرير **زينب غصن**
المستشار القانوني **د.عامر الزمالي**
مستشارا التحرير **محمد بن أحمد**
**سيباستيان كارليه**

المراسلات : 31 شارع جدة، حي المهندسين، القاهرة 12311
تليفون 37619332 • 33379282 فاكس 37618487
البريد الإلكتروني: csc.cai@icrc.org

الآراء الواردة بهذه المطبوعة لا تعبر إلا عن وجهة نظر أصحابها

ICRC

اللجنة الدولية للصليب الأحمر منظمة مستقلة محايدة، أنشئت عام 1863. مهمتها إنسانية بحتة، تتمثل في حماية أرواح ضحايا الحرب وكرامتهم وتقديم المساعدة لهم. تقوم اللجنة بتوجيه وتنسيق أنشطة الإغاثة التي تنفذها الحركة الدولية للصليب والهلال الأحمر. وتعمل على ترويج وتدعيم القانون والمبادئ الإنسانية العالمية.

43
صيف 2008

AFP

أزمة الغذاء: عالم أكثر فقرا وجوعا وأقل استقرارا ..... زينب غصن 05
أزمة الغذاء: التكلفة الإنسانية المتزايدة 10
مستشفيات غزة والضفة: مرضى يعانون ونقص في الأجهزة ..... هيلغ فام 12
بلاد ما بين النهرين عطشى! ..... د. طالب البدراني 14
أحلام ضائعة في المنطقة العازلة ..... ربى عفاني 16
مخيم "نهر البارد" يكافح من أجل البقاء ..... سمر القاضي 17
مكالمة من غوانتانامو : عودة الروح إلى محمد ..... حاتم فضل الله 20
مكالمة من غوانتانامو : لم الشمل عبر آلاف الأميال ..... سمية بلطيفة 21
الذخائر العنقودية: اتفاقية تاريخية لحماية المدنيين 22
الصحافيون: ضحايا السلاح وسلاح الحروب [ ملف ] 23
الإعلام العربي: ضحايا وسلاح ..... لورانس بينتاك 24
القانون الدولي الإنساني وحماية الإعلاميين في النزاعات المسلحة كنوت دورمان 25
العنف التحريضي في الفضاء التليفزيوني العربي ..... سلام الكواكبي 30
هكذا يحمل الصحافي حياته على كفه ..... إبراهيم سلامة 33
عندما يتحول الصحافي إلى جندي في المعركة ..... ياسر عبد العزيز 34
نزاعات وإذاعات ..... خالد منصور 36
خطٌّ ساخن لمساعدة الصحافيين في مناطق الخطر ..... دوريثيا كريميتساس 39
مدونة اللجنة الدولية على الإنترنت ..... فريديريك جولي 40
ميانمار: أسوأ كارثة إنسانية بعد تسونامي 41
امرأة تحاول صنع السلام من ركام الدمار ..... نائلة خليل 44
سينما الحرب الإيرانية والبحث عن السلام ..... مهرزاد دانش 47
شعر: البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ..... أمل دنقل 52
من أركان العالم 53
بلا رتوش: الرحيل الأخير ..... علي يوسف النوا 56





أزمة الغذاء

AFP

## العولمة وسياسات الطاقة والتغير المناخي من أسبابها :

# عالم أكثر فقرًا وجوعًا وأقلّ استقرارًا

**يشهد العالم أزمة غذاء حادة تتمثل في شح المواد الغذائية وارتفاع أسعارها في الوقت نفسه. ويتحدث الخبراء عن أسباب مختلفة لهذه الأزمة منها ما هو بيئي ومنها ما هو اقتصادي لكن يبدو أن للعولمة دورًا فيها كما للاتجاه العالمي نحو استخدام المواد الغذائية في إنتاج الطاقة. وقد عقدت في روما في يونيو/حزيران الماضي قمة عالمية لبحث هذه المشكلة وخلصت إلى نتائج لم تكن بمستوى الآمال على ما يبدو. •••**

REUTERS

## ♦ شكل الوقود الحيوي تكنولوجيا نظيفة للحد من الاحتباس الحراري لكنه في المقابل أدى إلى شح في الغذاء

## ♦ أدت العولمة إلى اتجاه الدول النامية نحو أنماط غذائية غربية مما رفع الحاجة إلى المنتجات الحيوانية والقمح

## ♦ ساعد التغيير الذي يطرأ على أنظمة الحياة والغذاء في العالم على تفشي السمنة وأمراض القلب والسكري

AFP

زينب غصن

••• قد تكون أزمة الغذاء العالمية هي أزمة القرن الحادي والعشرين. فإذا كانت البشرية قد عانت في القرون الماضية من أوبئة طبعتها وأدت إلى وفاة ملايين البشر إلا أن نقص الغذاء قد يكون طابع هذا القرن، لا سيما أن تبعاته لا تقتصر على الأجيال الحالية بل تمتد لتصيب أجيالا كثيرة مقبلة. وهو ما حذر منه رئيس البنك الدولي نفسه روبيرت زوليك عندما أعلن «أننا لسنا أمام نقص في الطعام اليوم أو اضطرابات اجتماعية، وإنما نقص الغذاء يؤدي إلى انخفاض في قدرة الأطفال على التعلم والنمو السليم فكريا وجسديا مما ينعكس على الأجيال المقبلة من البالغين». أي أننا أمام خطر بناء أجيال كاملة غير سليمة أو مريضة.

ويحتاج برنامج الغذاء العالمي التابع للامم المتحدة إلى 755 مليون دولار إضافية هذا العام ليتمكن من إطعام 73 مليون شخص في أفريقيا وآسيا وأميركا الوسطى يحتاجون لمساعدته. وهو تحد يواجه أيضا اللجنة الدولية للصليب الأحمر التي قال رئيسها جاكوب كيلينبرغر: «إن الارتفاع الأخير في أسعار المواد الغذائية والوقود يجعل ظروف العيش أصعب مما هي عليه أصلًا بالنسبة إلى الفقراء الذين يكافحون لمواجهة ما تخلفّه الحروب والعنف الداخلي من آثار...»

وبحسب برنامج الغذاء العالمي فإن عدد الأشخاص الذين يعانون من سوء التغذية في العالم وفقا لاحصائيات العام 2006 يبلغ حوالي 854 مليونا معظمهم في البلدان النامية، وبزيادة مليونين عن إحصاءات العام 2005.

ويشير تقرير أصدره المعهد الدولي لأبحاث السياسات الغذائية (إيفبري) International Food Policy Research Institute إلى أن 37 مليون شخص في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وحدها عانوا من نقص التغذية بين الأعوام 1992 و2004. وهذه الأرقام مرشحة للتفاقم في السنوات المقبلة في ظل الأزمة. إذ توقعت دراسة اعتمدها التقرير نفسه أن يزيد عدد الذين يعانون من سوء التغذية في منطقتنا إلى 55 مليونًا في العام 2020 و56 مليونًا عام 2050 لينخفض إلى 48 مليونًا عام 2080.

وتعود غالبية أسباب أزمة الغذاء التي يشهدها العالم اليوم إلى عوامل بيئية أو تقنيات زراعية وتكنولوجيات بديلة كان الهدف منها حل أزمات أخرى فأدى إلى خلق أزمات جديدة بعضها أيضا بيئي وبعضها الآخر صحي بامتياز.

ويعدد تقرير «إيفبري» مجموعة من الأسباب يرى أنها وراء ما جرى ويجري في العالم. ويأتي على رأسها: النمو الاقتصادي الهائل في بعض الدول (مثل الهند والصين) وما رافقها من تغييرات في السلوكيات الغذائية لشعوبها والتي ساهمت العولمة أيضا فيها. كما ارتفع الطلب على الحبوب لإطعام المواشي ولاستخدامها في إنتاج الوقود الحيوي، وهي سلوكيات أثّرت على المزارعين ودفعت الكثيرين منهم إلى تغيير نوعية إنتاجهم. وكان للاحتباس الحراري وما رافقه من تغيرات مناخية أثر أيضا. كل هذه العوامل انعكست على الأجندات الزراعية والغذائية والصحية.

### عولمة الطعام والسلوكيات الغذائية

أدى النمو الكبير الذي شهدته دول شرق آسيا، لا سيما الصين والهند، وارتفاع الدخول فيها، إلى تغيير في السلوكيات الغذائية في هذه الدول حيث زاد الطلب على اللحوم. وساهمت مظاهر العولمة والاتجاه نحو أنماط غذائية غربية مثل المأكولات السريعة والمعدة مسبقًا في تعزيز هذا الاتجاه. وهي حالة تنطبق على معظم الدول النامية، غير أن حجم السكان في الدولتين هو الذي سلط الضوء أكثر على استهلاكهما. وقد انعكس ذلك زيادة في استهلاك الحبوب لإطعام الماشية حيث يحتاج إنتاج كيلوغرام واحد من اللحوم إلى 8 كيلوغرامات من الحبوب. وبحسب إيفبري فإن «هناك الكثير من الطعام لكن القليل منه يصل إلى معدات الجائعين. فبالرغم من أن انتاج الحبوب بلغ 1,2 مليار طن العام الماضي إلا أن 1,01 مليار فقط منها سيصل إلى سكان العالم كطعام».

وأدى ذلك أيضا إلى ارتفاع استهلاك دول شرق آسيا لدقيق القمح وهي التي كانت تعتمد على الأرز في غذائها. وعالميا زاد الطلب على الحبوب واللحوم والبيض ومشتقات الألبان.

من ناحية أخرى فإن سيطرة فكرة «الغذاء الصحي» على المجتمعات المتقدمة زاد من طلبها على أنواع كثيرة من الخضروات ذات النوعية العالية الجودة مما دفع الدول الغربية إلى تشديد معايير الجودة التي تفرضها على الصادرات الزراعية إليها ما انعكس سلبا على مزارعي الدول النامية وصعب عمليات تصدير منتجاتهم نحو الشمال وزاد من أزمتهم. وبالرغم من أن اتفاقيات التجارة العالمية تطالب الدول الفقيرة بالتوقف عن تقديم الدعم لمزارعيها بحجة توفير مبدأ تكافؤ الفرص في التصدير، إلا أن الدول الغنية لم تلغ هذا الدعم عن مزارعيها. وهي كلها أمور ساعدت في رفع أسعار الخضار أيضا عالميا.

### التغير المناخي والوقود الحيوي

يشكل الاحتباس الحراري وما يرافقه من تغيرات مناخية في زيادة الجفاف في بعض مناطق العالم، والفيضانات في أخرى، مما يؤدي إلى إتلاف الأراضي الزراعية والمحاصيل. فقد تسببت الفيضانات في الصين هذا العام في تشريد ملايين الأشخاص وفي تلف حقول واسعة من الأرز والذرة. وانخفض محصول الصين من الحبوب خلال السنوات السبع الماضية بنسبة 7 في المائة. وتعد أستراليا من أكبر منتجي القمح في العالم غير أن العام الماضي كان الأسوأ منذ أكثر من قرن بسبب الجفاف، مما أدى إلى انخفاض في محصول القمح بنسبة 60 في المائة. هذا وتفقد سنويا آلاف الكيلومترات المربعة من الأراضي الزراعية بسبب الجفاف •••

والاحتباس الحراري وتقلص الغابات.

ويتوقع خبراء أن يؤدي الارتفاع في حرارة الأرض ثلاث درجات مئوية فقط إلى زيادة في الأسعار بنسبة 40 في المائة مما يعني أن الاحتباس الحراري يزيد من حدة عدم الاستقرار الغذائي.

غير أن الأسباب لا تتوقف عند هذا الحد، فأسعار الحبوب ستصبح مرتبطة أكثر فأكثر في المستقبل بمصادر الطاقة. إذ تحاول الدول الغربية ولا سيما الولايات المتحدة منذ أكثر من ثلاثين عاما فك ارتباطها ببترول المنطقة العربية كمصدر أساسي للطاقة تعتمد عليه. من هنا كانت فكرة البحث عن مصادر بديلة وتم التوصل إلى إنتاج الإيثانول والديزل الحيوي كبديلين عن مصادر الطاقة الأحفورية مثل البترول. وتعتبر البرازيل رائدة في إنتاج الإيثانول من قصب السكر واستخدامه لتشغيل السيارات. كما بدأ إنتاج الديزل الحيوي (بيوديزل) باستخدام زيوت نباتية مثل زيت الفول السوداني وزيت الصويا وزيت الذرة مما أدى إلى ارتفاع أسعارها عالميا. وهو ما أغرى الكثير من المزارعين حول العالم ولاسيما في الولايات المتحدة إلى بيع محاصيلهم للشركات المنتجة للوقود الحيوي لما يعود عليهم ذلك من فائدة مادية لاسيما أن هذه الشركات تشتري محاصيلهم بأسعار تفوق تلك التي يبيعون بها هذه المحاصيل للاستهلاك كطعام. ويذهب اليوم 75 في المائة من محصول الذرة الأميركي اليوم إلى الشركات التي تنتج هذا الوقود. وكان الكثير من المزارعين في الولايات المتحدة تخلوا عن زراعة فول الصويا واتجهوا نحو زراعة الذرة التي بدأت تدر عليهم أموالا أكثر.

وقد دعمت السياسات الحكومية الأوروبية والأميركية هذا الاتجاه. إذ فرضت حكومات بعض هذه الدول على مواطنيها أن يشكل الإيثانول جزءًا من الطاقة المستخدمة في تشغيل السيارات بحيث يشكل 10٪ من الوقود الذي يعبئه المستهلك من محطات البنزين مقابل 90 ٪ من البنزين...

وبالرغم من أن استخدام هذه الطاقة البديلة يخفض من انبعاثات الغازات الدفيئة التي تزيد من الاحتباس الحراري، فإنها في الوقت نفسه تزيد من سوء الوضع الغذائي العالمي.

ولمعرفة حجم الأزمة التي يسببها هذا الاتجاه فإن ملء خزان سيارة واحدة بالوقود الحيوي يستهلك من الحبوب مقدار ما يمكن أن يطعم إنسانا لمدة سنة!

## انعكاسات على الصحة ونمو الأطفال

تؤكد منظمة الأغذية والتجارة التابعة للأمم المتحدة أن زيادة الفقر يؤدي بالناس إلى الاتجاه نحو أطعمة أقل قيمة غذائية، وأفقر بالفيتامينات، وأقل توازنًا مع انعكاسات على الصحة قصيرة أو طويلة الأمد. وهو ما أشار إليه رئيس البنك الدولي بقوله إن هناك خطرًا على الأجيال المقبلة بسبب نقص التغذية الذي يؤدي إلى سوء نمو عقلي وجسدي.

إذ يؤدي سوء ونقص التغذية على المدى الطويل إلى أمراض عدة وحتى إلى الموت. ويخفض سوء التغذية من مناعة الجسم فيزيد من خطر الإصابة بأمراض معدية وهو من الأسباب الرئيسية للإصابة بمرض السل.

وتظهر دراسة «لليونيسف» في العام 2006 أن طفلًا من بين كل أربعة أطفال تحت سن الخمس سنوات في الدول النامية يعاني من انخفاض في وزنه عن المعدل الطبيعي، وواحد من بين كل ثلاثة أطفال يعاني من قصر القامة أو الاتجاه لأن يكون قزمًا.

والتغيير الذي يطرأ على أنظمة الحياة والغذاء في العالم يساعد بشكل كبير على تفشي أوبئة دون أخرى، لا سيما الأمراض المرتبطة بالسمنة وبالاستهلاك المتزايد للحوم وللمأكولات السريعة. فآثار العولمة في المآكل تظهر على شكل ارتفاع في أمراض القلب والشرايين والسكري. وهي أمراض بقيت لفترة طويلة حكرا على الدول الغنية غير أنها أصبحت اليوم تشكل الاتجاه العام في الدول النامية.

## قمة عالمية لمحاربة الجوع

في ظل هذا الواقع العالمي المتردي دعت منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة (الفاو) إلى قمة عالمية للأمن الغذائي في روما بداية شهر يونيو/ حزيران الماضي شاركت فيها 180 دولة، في إطار الجهود لمواجهة مشكلات ارتفاع أسعار الغذاء وما أدت إليه من اضطرابات في عدد من الدول النامية.

غير أن نتائج هذه القمة لم تكن على مستوى التوقعات. فهي وإن اختتمت اجتماعاتها بالإعلان عن تعهد الدول المشاركة فيها بمضاعفة إنتاج العالم من الغذاء بحلول العام 2030، إلا أنها فشلت في الاتفاق على الكثير من النقاط المرتبطة بالأزمة. فقد تعهدت الدول المشاركة بزيادة الإنفاق على الزراعة، وبشكل خاص مساعدة صغار المزارعين. لكن القمة فشلت في التوصل لاتفاق حول تخفيض الرسوم الجمركية على المنتجات الزراعية المدعومة.

ورفضت دول أميركا اللاتينية، تقودها البرازيل، أن توقع بيانا ختاميا يدين إنتاج الوقود الحيوي. كما تشعبت النقاشات والخلافات إلى قضايا سياسية بعيدة عن موضوع القمة.

وقالت «الفاو» إنه «يتعين زيادة إنتاج الغذاء بنسبة 50 بالمائة بحلول العام 2050 لتلبية الطلب المتزايد على الطعام». وحتى إن لم تكن القمة مؤتمرًا للتعهدات المالية، فلقد أعلن عدد من الأطراف المانحة عن مساهمات مالية مؤكدة تعود بالفائدة على الدول الأكثر فقرا وتضرُّرًا من جرّاء الأزمة الغذائية العالمية الراهنة، مما سيتيح لها إنتاج غذاء كاف لاحتياجاتها في غضون مواسم الزرع القادمة، ومساعدتها على تحقيق الأمن الغذائي على أسس دائمة من خلال الاستثمار في الزراعة والبحوث بحسب منظمة الفاو.

وتبلغ هذه التمويلات الجديدة المُعلن عنها ما مجموعه 18,36 مليار دولار أميركي كالتزام عالمي للأمن الغذائي وقطاع الزراعة.

وكانت الأزمة الراهنة قد تسببت في تجويع 100 مليون إنسان إضافي، حيث تواجه الدول الفقيرة زيادة في تكاليف وارداتها من المواد الغذائية تبلغ 40 في المائة.

وقد شكك البعض في جدوى القمة، فقد قال الرئيس السنغالي عبد الله واد «إن القمة مضيعة للوقت... اعتقدت أن هذا سيكون للرد على سؤال بشأن ما ينبغي عمله.. لكن لم يحدث ذلك مطلقا». في المقابل بدت منظمة «أوكسفام» أكثر تفاؤلا.

وقالت باربارا ستوكينج مديرة المنظمة أنه «سيكون من السهل للغاية رفض تلك القمة بوصفها منتدى للحوار. لكنها يمكن أن تكون وسيلة للتقدم تؤدي إلى سياسات أفضل وأموال لتنفيذها».

حتى الآن رأس الجبل الجليدي هو الذي ظهر من هذه الأزمة لكن أحدا لا يعرف ما تخبئه المياه من مآس.

والتحدي الأكبر الذي يواجه المجتمع الدولي على المدى الطويل هو محاولة تحقيق توازن بين التصدي للتغيرات المناخية وإنتاج ما يكفي من المواد الغذائية وتطوير تقنيات زراعية أفضل وبدائل للطاقة تحقق التنمية المستدامة ولا تكون على حساب الفقراء ●

REUTERS

◆ تعهدت الدول المشاركة في القمة العالمية للأمن الغذائي بمضاعفة إنتاج العالم من الغذاء بحلول العام 2030

# أزمة الغذاء: التكلفة الإنسانية المتزايدة

**تستعد الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر للعمل لمواجهة أزمة غذائية لم يسبق لها مثيل. وفي هذا السياق تتحدث رئيسة وحدة الأمن الاقتصادي في اللجنة الدولية للصليب الأحمر، السيدة بربارا بويل سعيدي، عن الأسباب الكامنة وراء هذه المشكلة والاستراتيجيات اللازمة لتذليلها.**

REUTERS

**تصيب** الأزمة الغذائية الكبرى التي استفحلت في الأشهر الأخيرة ملايين الأشخاص في مختلف أرجاء المعمورة وتشكل خطرا يهدد أعدادا أكبر من الأشخاص. وتتسبب الأسعار المتزايدة للمنتجات الزراعية الرئيسية، بالإضافة إلى زيادة غير مسبوقة في أسعار النفط، في مصاعب خطيرة، لاسيما بالنسبة لأشد الناس ضعفا. ولا أحد يعلم إلى أي مدى سترتفع أسعار الحبوب. وقد أثارت الأزمة الغذائية حوادث شغب في أكثر من 30 بلدا حتى الآن، في أفريقيا والشرق الأوسط وآسيا ومنطقة الكاريبي. وجاء إعصار "نرجس"، الذي خلف دمارا كبيرا في ميانمار، ليفاقم من حالة البؤس السائدة هناك. وإذ تشعر الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر بالقلق حيال هذه التطورات الخطيرة، فهي تعمل على التعجيل باتخاذ الإجراءات اللازمة.

**◆ ما هي أهم عواقب الأزمة على الأجلين القصير والمتوسط؟**

تقتضي الأزمة الغذائية، باعتبارها أحد جوانب الأزمة الاقتصادية الحالية، إجراء إصلاحات هيكلية أساسية من أجل استقرار الوضع على الأجل الطويل. أما على الأجل القصير، فإننا في حلقة مفرغة يتأثر فيها المستهلكون بطرق مختلفة. ويشهد كل يوم مظاهرات ضد ارتفاع الأسعار، وهو ما يثير جميع أشكال التوتر. ويجب ألا يغيب عن البال أن المستهلك العادي في البلدان المتقدمة ينفق حوالي 15 في المائة من دخله على الغذاء. وتصل هذه النسبة إلى 30 في المائة في البلدان الناشئة بينما يخصص أكثر من نصف دخل الأسرة، وحتى ثلاثة أرباعه، للغذاء في البلدان المتضررة من النزاعات المسلحة والجفاف أو كوارث أخرى. ويؤدي حتما ارتفاع من هذا القبيل إلى تقويض الإنفاق على احتياجات أساسية أخرى، مثل الصحة أو التعليم. وشهد العديد من البلدان التي تنفذ فيها اللجنة الدولية عملياتها، تراجعا تدريجيا في مستويات المعيشة، تتمثل علاماته الرئيسية في بيع المجوهرات، واستنفاد المدخرات، وبيع الأرض أو وسائل إنتاج أخرى، وتراجع استهلاك المواد الغذائية الذي يمكن أن يؤدي إلى المجاعة.

وإذا لم تنظم عمليات تكييف هيكلي مهمة، لن يكون بمقدور صغار المزارعين الإفادة من الارتفاع الكبير الذي تسجله الأسعار حاليا بسبب العجز عن وصول مضمون إلى الأسواق الرئيسية.

ويواجه السكان الذين يكافحون للتغلب على آثار النزاعات المسلحة وغيرها من حالات العنف عبئا إضافيا، كما هو الحال في تشاد والصومال واليمن وأفغانستان وهايتي على سبيل الذكر لا الحصر. ويحتمل أن يتضرر المحتجزون إذا لم تعوض ميزانيات السجون عن الارتفاع في أسعار المواد الغذائية، وإذا فقدت عائلاتهم القدرة على مساعدتهم. وقد يتزايد أيضا اعتماد السكان النازحين والجرحى والمرضى على المساعدات.

**◆ كيف ستساعد اللجنة الدولية السكان الأشد ضعفا المتضررين من النزاعات المسلحة وأزمة أسعار المواد الغذائية؟**

في البلدان المتضررة من النزاعات المسلحة وحالات العنف الأخرى، تقف اللجنة الدولية على أهبة الاستعداد لتعزيز استجابتها الإنسانية للاحتياجات الناشئة التي نجمت عن ارتفاع أسعار المواد الغذائية أو تفاقمت بسببها. فاللجنة الدولية مثلا أطلقت منذ وقت قريب نداءً لجمع أموال إضافية لتوسيع نطاق عملياتها في اليمن والصومال.

وتحث اللجنة الدولية السلطات، وعلى وجه الخصوص المسؤولين عن تطبيق القانون، على حماية السكان من أي اندلاع ممكن للعنف يكون مرتبطا بارتفاع أسعار المواد الغذائية، واتخاذ جميع الإجراءات اللازمة للحيلولة دون الاستخدام المفرط للقوة في مواجهتهم للمظاهرات وأحداث الشغب. ويجب أن يتلقى المصابون في خضم حوادث الشغب العناية الطبية العاجلة، واللجنة الدولية مستعدة لدعم جمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر الوطنية في توفيرها الإسعافات الأولية للذين يحتاجون إليها.

**◆ ماذا يعني ذلك بالنسبة للحركة؟**

يتأثر الموظفون المحليون العاملون مع اللجنة الدولية والاتحاد الدولي وموظفو الجمعيات الوطنية في البلدان التي تعاني من الأزمة، أو سوف يتأثرون، بصفتهم مستهلكين. والأشخاص الأكثر تعرضا لآثار الأزمة في كثير من الأحيان هم متطوعو الجمعيات الوطنية.

ومن حيث الاستجابة، يرجح أن تواجه طلبا أكبر من الوكالات الإنسانية لتلبية الاحتياجات العاجلة الناجمة عن الأزمة الغذائية.

ويجري في الوقت الحالي حوار بين اللجنة الدولية والاتحاد الدولي، من المنتظر أن يؤدي في وقت قريب إلى استراتيجية عامة للحركة.

**◆ كيف يجري التنسيق داخل الحركة ومع الشركاء من الخارج مثل وكالات الأمم المتحدة المتخصصة؟**

نحن نحافظ على حوار مستمر مع برنامج الأغذية العالمي، وهو المقدم الرئيسي للمساعدات الغذائية على الصعيد الدولي. ويركز هذا الحوار على تحقيق التلبية الأنسب للاحتياجات بحيث لا تدخل اللجنة الدولية في نهاية المطاف في منافسة مع برنامج الأغذية العالمي. وفي الواقع، لا تشكل المساعدات الغذائية سوى جزء ثانوي من برامج المساعدة التي تنفذها اللجنة الدولية. كما أننا على اتصال منتظم مع منظمة الأغذية والزراعة، ونجري مشاورات خاصة مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومنظمة العمل الدولية، لا سيما في ما يتعلق بتطور سوق العمل (وتأثير التحضر عليه) في الأماكن التي تعمل فيها اللجنة الدولية. وتستطيع اللجنة الدولية بفضل هذه النقاشات صقل برامجها الاقتصادية الصغيرة من أجل تحسين دعمها لضحايا النزاعات الذين فقدوا سبل كسب عيشهم لبدء مهنة جديدة أو مشروع تجاري خاص بهم. وهكذا، فإن توفير التدريب على الميكانيك الكهربائي إذا كان هناك نقص في المهارات في هذا المجال، يكون أنجع من التدريب على صنع الأحذية إذا كان هذا السوق يشهد تراجعا أو كان مشبعا. وتسعى اللجنة الدولية، داخل الحركة، إلى التنسيق بشكل منتظم مع الاتحاد الدولي، ومع عدد من الجمعيات الوطنية التي أعطت هذه المسألة أولوية في تنفيذ عملياتها.

**◆ هل سيتعين على اللجنة الدولية أن تكيّف سياساتها في مجال الأمن الاقتصادي على ضوء الأزمة الغذائية، وكيف إذا كان الرد بالإيجاب؟**

كلا، لن يكون ذلك ضروريا في الوهلة الأولى. فالشغل الشاغل للجنة الدولية هو تحديد مكمن المشكلة داخل السلسلة الغذائية، ووقف دوامة التدهور من جهة، وإحياء اقتصاد الأسر من جهة أخرى. فعلى سبيل المثال، إذا كانت المواد الغذائية متاحة لكن بأسعار غالية جدا، على خلاف عدم توفرها تماما، قد يكون من المستحسن تقديم المساعدة النقدية أو قسائم لشراء المواد الغذائية بدلا من توفير المساعدات الغذائية المباشرة. وتمكننا هذه المعلومات أيضا من اتخاذ قرار بشأن ما إذا كان يتعين اتخاذ إجراءات على مستوى المنتج الصغير (الإمدادات) أو على مستوى المستهلك (الطلب). وفي هذا الصدد، لا يمكن أن تكون الاستجابة على الصعيد الإنساني إلا متواضعة، بالنظر إلى حجم الأزمة: فلا سبيل إلى توفير استجابة طويلة الأجل قابلة للاستمرار إلا من خلال عمليات التكييف الهيكلي. ولذلك، ينبغي أن يركز التغيير على حجم المساعدة المقدمة وليس على السياسات المعتمدة ●

## مستشفيات غزة والضفة

# مرضى يعانون ونقص في الأجهزة

**في قطاع غزة، كما هو الحال في الضفة الغربية، يعاني الكثير من المرضى من مشاكل للوصول إلى المستشفيات والحصول على العلاج الذي يحتاجونه. ويبذل الأطباء والممرضون في غزة جهدًا كبيرًا لتوفير الرعاية الطبية المناسبة لمرضاهم في ظل نقص قطع الغيار لإصلاح الأجهزة الضرورية في المستشفيات**

**يعاني** **مازن اشتيوي، أبو يوسف،** من وضع صحي يزداد تدهورًا يومًا بعد يوم، بسبب مرض السرطان الذي أصابه أولًا في الرئة ثم تفشى إلى الحنجرة. ويرغب الأطباء في غزة بتحويله إلى إسرائيل للعلاج بالأشعة، حيث أبدى زملاؤهم في مستشفى في تل أبيب استعدادهم لاستقباله. لكن، ولأسباب أمنية، ترفض السلطات الإسرائيلية إعطاءه الضوء الأخضر لعبور الحدود إلى إسرائيل. فالعلاج بالأشعة غير متوفر في غزة، مما يضطر مرضى السرطان، أمثال **أبو يوسف**، إلى السفر خارج القطاع للعلاج، وهذا، في الغالب، أمر صعب ومتعب لأشخاص يعانون من مرض خطير.

فمنذ فُرض الإغلاق على غزة، تزداد الأمور صعوبة بالنسبة لعبور المرضى والجرحى لتلقي العلاج في القدس وفي إسرائيل وفي الضفة الغربية أو أي مكان آخر.

في مستشفى الشفاء في غزة، يجد **هاني حمادة**، رئيس الممرضين في غرف العمليات، أن عملية صيانة أو إصلاح الأجهزة تزداد صعوبة يومًا بعد يوم. وهذا يعني أن جهاز تعقيم واحدًا من أصل اثنين صالح للاستعمال، وأن أجهزة المراقبة في غرف العمليات لا تصلح للاستعمال لأن لمبة التحذير لا تعمل.

يقول **حمادة** «**المرضى يعانون، وعدد الأشخاص الذين ينتظرون إجراء عملية في ازدياد. في الحالات الطارئة نلغي كافة العمليات غير المتعلقة بالحدث الطارئ**».

ويشدد **حمادة** على أن كافة الأجهزة في القسم الذي يعمل به تفتقر إلى قطع الغيار. فاستيراد الأجهزة، بما في ذلك قطع الغيار الضرورية، قد يكون أمرًا صعبًا.

أما توفير الاحتياجات الأساسية كالأدوية الضرورية والمواد الجاهزة للاستعمال، فهذا تحد آخر.

يُكنُّ **حمادة** كل التقدير لأفراد طاقمه الذين يبذلون أقصى الجهود لمساعدة المرضى قدر المستطاع. لا يختلف حال موظفي المستشفيات عن حال أي مواطن في غزة، فآثار المشكلة الحالية تنعكس على كل واحد منهم.

إحدى المشاكل التي تؤثر سلبيًا على مجرى الحياة اليومية لمعظم سكان غزة هي مشكلة النقص في الوقود التي تنعكس آثارها السلبية على المستشفيات أيضًا. فالأطباء والممرضون، وخاصة من يعمل منهم في الليل، يواجهون صعوبات جمة في الوصول إلى أماكن عملهم، مما يؤدي إلى ازدياد عدد الأشخاص على قائمة الانتظار ويقلص من قدرة المستشفيات على توفير العلاج للمرضى.

يقول **حمادة** «**إننا نبذل أقصى الجهود، وعلينا أن نتغلب على كافة الصعوبات وسنستمر في عمل ذلك حتى آخر أيامنا**».

### مهندس طبي

للتغلب على مشكلة النقص في قطع الغيار، عينت اللجنة الدولية للصليب الأحمر مؤخرًا مهندسًا طبيًا لتحديد الاحتياجات المتعلقة بالأجهزة بما في ذلك قطع الغيار اللازمة لعمليات الصيانة والإصلاح. كذلك، يهيئ المهندس البنية التحتية قبل وضع الآلات والأجهزة في أماكنها ويتأكد من عملها آخذًا بعين الاعتبار إمكانية صيانتها في غزة.

تقول السيدة **آيلين دالي**، منسقة قسم الصحة التابع للجنة الدولية للصليب الأحمر في الضفة الغربية وقطاع غزة «**بسبب القيود المفروضة على سفر المرضى للعلاج خارج القطاع، فإن المحافظة على استمرارية عمل المستشفيات هو أمر في غاية الأهمية لإنقاذ حياة الناس**».

ومسألة تدريب الأطباء والممرضين هي من الأمور التي تثير قلق إدارة مستشفى «الشفاء»، حيث يتلقى الكثيرون منهم دورات تدريبية في إسرائيل أو في أماكن أخرى خارج القطاع. وإذا استمر الإغلاق، قد يصبح التدريب الطبي المناسب مشكلة عويصة.

ICRC

### حرية الوصول

في الضفة الغربية، تعمل اللجنة الدولية للصليب الأحمر على تأمين الاحتياجات الأساسية للمستشفيات. كما هو الحال في غزة، فإن الوصول إلى المنشآت الطبية لتلقي العلاج هي مشكلة هنا أيضًا. فالقيود المفروضة على حرية الحركة بسبب الحواجز والجدار تؤدي أحيانًا إلى تأخر وصول المرضى في سيارات الإسعاف إلى المستشفيات لتلقي العلاج في الوقت المناسب.

ولتأمين مرور سيارات الإسعاف دون تأخير على الحواجز، تعمل اللجنة الدولية للصليب الأحمر على تنسيق مرورها مع السلطات الإسرائيلية بناءً على طلب من جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني.

تقول السيدة **آيلين دالي** «**عندما يتم تأخير سيارات الإسعاف، فإنهم يتصلون بنا. فعملية تنسيق حركة سيارات الإسعاف هي جزء هام من عملنا**».

### الحماية الطبية

يتعرض حق الحماية الممنوح للعاملين في الخدمات الطبية لعدم الاحترام في قطاع غزة والضفة الغربية على حد سواء. فقد تعرضت سيارات الإسعاف للاعتداءات، وتم تهديد الأطباء والممرضين من قبل أفراد أو جماعات مسلحة وأدخل السلاح إلى المستشفيات مما خلق جوًا قابلًا للانفجار في أية لحظة.

لمواجهة هذه المشكلة، قامت اللجنة الدولية للصليب الأحمر وجمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ووزارة الصحة الفلسطينية بإطلاق حملة توعية مشتركة. تدل المؤشرات على انحسار المشكلة في الأشهر الأخيرة، وتأمل السيدة **كاترينا ريس**، رئيسة بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في القدس، أن تساعد الحملة «**على تعزيز حماية العاملين في الخدمات الطبية حتى وإن اشتدت الأعمال العدائية في المنطقة لا قدّر الله**» ●


**هيلغ فام***

(*) Helge Kvam مسؤول العلاقات الإعلامية في اللجنة الدولية للصليب الأحمر– القدس

REUTERS

في وقت يعاني المرضى من غياب العلاج يضطر الأطباء إلى إلغاء كافة العمليات لمصلحة الحالات الطارئة

# بلاد ما بين النهرين عطشى!

**يفتقر العراقيون منذ سنوات إلى المياه النظيفة الصالحة للشرب وللاستخدام اليومي بالرغم من غنى هذا البلد بمصادر المياه. بعض أسباب هذه الأزمة يعود إلى الحصار الاقتصادي الذي سبق العام 2003 وبعضها الآخر سببته الأزمة الأمنية والسياسية مما أدى إلى عودة أمراض كانت قد اختفت في القرن الماضي.**

ICRC

## 70 ٪ من سكان العراق لا يحصلون على مياه نظيفة

## عادت الكوليرا إلى الظهور في العراق

**الماء** شريان الحياة وعصب كوكبنا، فهو يغطّي ثلاثة أرباع سطح الكرة الأرضية أي 1,35 مليون متر مكعب، وتقدر كمية الماء العذب على الأرض بـ 37 مليون متر مكعب. تعتبر نوعية الماء المتوفرة عاملًا حيويًا لتحديد مصير الإنسان ومؤشرًا للحفاظ على صحته طبقًا لقوانين البيئة، ومعيارًا لتقدم الدول فضلًا عن أنه حاكم للتنمية محليًا وإقليميا وعالميًا.

وفي بلاد ما بين النهرين، يعد نهرا دجلة والفرات رافدي الخير لهذه البلاد ومصدرًا روحيًا لبناء أولى الحضارات فيها. فعلى ضفافهما عرفت البشرية مسيرة التقدم والعطاء الإنساني، حتى أن الملك حمورابي كان أول من شرّع القوانين الخاصة بأهمية الحفاظ على مصادر المياه وحمايتها من التلوث. وعرف المجتمع العراقي الحديث في بداية القرن الماضي إنتاج الماء الصافي وشرع القوانين المنظمة لذلك، وبدأ المواطن العراقي يحصل على حصته من الماء الصالح للشرب. فكان الفرد يحصل على 50 إلى 60 لترا من الماء في اليوم، ليتطور الأمر حتى العام 2000 حيث أصبح يحصل على 200 إلى 300 لتر في اليوم بالنسبة لسكان الحضر، و60 لترا بالنسبة لسكان الأرياف. وتحتاج هذه الكميات إلى إمكانيات فنيّة وماليّة وبناء شبكات ومحطات تصفية جديدة وخطط لتحديث البرامج تتلاءم مع الزيادات الحاصلة في عدد سكان العراق الذي بلغ في العام 2007 حوالي 29 مليونا و632 ألفا و81 نسمة بموجب تقديرات وزارة التخطيط والتعاون الألماني. وبذلك فإن الهوة الحاصلة بين عدد سكان العراق، وبغداد بالذات، وبين إنتاج الماء الصالح للشرب كمًا ونوعًا، أصبحت هائلة، حيث تشير الأرقام إلى أن معدل حصة الفرد العراقي من الماء الصافي للشرب أصبحت لا تزيد على 5 لترات في اليوم...

ICRC

### ضعف في البنية التحتية

وبموجب تقديرات منظمات الأمم المتحدة المعنيّة، فإن 70 ٪ من سكان العراق لا يحصلون على مياه نظيفة. ففي بغداد مثلًا التي يبلغ عدد سكانها 6 ملايين نسمة، يحصل الفرد على 2٪ فقط مما هو مطلوب في التقديرات الدولية للاستهلاك البشري للمياه النقية الصالحة للشرب.

وجميع محطات المياه في المدينة، كمحطة مياه الكرخ في الطارمية ومحطة شرق دجلة شمال الأعظمية وبعض المحطات الصغيرة، تعمل بكفاءة أقل من 60٪ ولا تستطيع توفير إلا نسبة ضئيلة من حاجة السكان. تضاف إلى ذلك معضلة كبيرة وخطيرة يعاني منها قطاع المياه وهي قِدَم شبكات التوزيع وصدؤها وعدم كفاءتها مما يعرض الماء المنقول عبرها إلى مخاطر جمة. إذ تتسرب مياه الصرف الصحي والمياه الجوفية إلى تلك الأنابيب البالية أثناء ضخّ المياه مما يؤدي إلى وصولها ملوثة إلى المواطنين وهو أمر شكل عاملًا مسببًا لانتقال الأمراض الوبائية إلى السكان.

فقد أكد تقرير للجهاز المركزي للإحصاء والتكنولوجيا لعام 2006 بأن الاشتراطات الدولية لمقاييس المياه الصالحة للشرب غير مستوفاة في العراق من النواحي الفيزيائية والكيميائية والصحية (الميكروبيولوجية)، وأن إجراء الفحوصات المخبرية وفق معايير منظمة الصحة العالمية أظهر عدم توافر الشروط والمعايير الدولية في المياه المنقولة عبر شبكات الضخ العراقية إلى السكان للاستهلاك.

ويقول الفنيون العاملون في مؤسسة ماء بغداد «**إن شبكات الماء مهملة وبدون إصلاح بسبب الحصار الاقتصادي الطويل على العراق. وهي أصبحت مهترئة ومليئة بالعيوب حتى قبل اندلاع الحرب في العام 2003. لكن مشاكل المياه تضاعفت منذ ذلك الحين في أعقاب الفوضى التي حدثت مع بداية الصراع، حيث نُهبت محطات الضخ الرئيسية وغرف السيطرة المبرمجة فجردها السارقون من أجهزتها ومعداتها الحيوية ولحق ضرر بالغ بالبنية التحتية**».


د. طالب البدراني*


دفع ذلك المنظمات الدولية التابعة للأمم المتحدة وغيرها إلى تقديم المساعدات العاجلة للسكان وخاصةً ما قدمته اللجنة الدولية للصليب الأحمر (بعثة العراق) من جهود جبارة لوجستية وملموسة لتحسين واقع المياه والصرف الصحي في العراق، وتوفير إمدادات مائية هامة تراوحت بين بناء محطات لتصفية المياه الصالحة للشرب وتأهيل نظم المياه والصرف الصحي في أكثر من عشرة مستشفيات وإصلاح واقع الصرف الصحي لسبعة وستين مركزًا للرعاية الصحية في جميع المحافظات وصولا إلى حفر الآبار في المناطق الصحراوية والريفية وتقديم مواد معقمة لصالح محطات تصفية المياه.

### كوليرا وتيفوئيد

تشير التقارير المحلية والدولية إلى أن أكثر من أربعة ملايين عراقي استفادوا من المساعدات والبرامج التي قدمتها اللجنة الدولية للصليب الأحمر في قطاع المياه والصرف الصحي مما خفف بعض معاناة المواطنين وانعكس تحسنا في أوضاعهم الصحية والنفسية..

ومع ذلك مازال العراق يواجه أزمة إنسانية على نحو متزايد في مجال توفير المياه الصالحة للشرب، فآلاف العراقيين من سكان بغداد والمحافظات يكادون لا يعثرون عليه، الأمر الذي جعل المياه الواصلة إلى السكان قليلة وقذرة وملوثة ساعدت على إصابة المواطنين بالأمراض الخطيرة مثل مرض الكوليرا الذي كان قد اختفى من العراق منذ القرن الماضي، والإسهال الذي كان ثاني سبب لوفيات أطفال العراق. ولا غرابة أن عددا من المسؤولين العراقيين في وزارة الصحة حذروا من خطر تزايد الأمراض المنقولة عن طريق المياه الملوثة وانتشارها بشكل ملحوظ بين السكان ولاسيما الأطفال وكبار السن إذا استمر إهمال إصلاح شبكات المياه والصرف الصحي. وأكدوا أن أي تلكؤ في تزويد السكان بالمياه النقية والمعقمة سيزيد من حدة مشكلة ظهور إصابات جديدة لوباء الكوليرا والتهاب الكبد الوبائي والتيفوئيد حيث باتت تلك الأمراض تدخل أبواب المواطنين دون استئذان بفضل تلوّث المياه. ويبرر الخبير في الصحة **أحمد ناجي** في بغداد تلك الكوارث بالقول «**إن الأوضاع الأمنية التي يمر بها البلد حالت دون قيام مؤسسات الدولة بإصلاح شبكات المياه والصرف الصحي وإقامة محطات جديدة**».

ولم تجد تحذيرات منظمة الصحة العالمية في اليوم العالمي للمياه في 22 مارس/آذار من أن النقص الحاصل في مياه الشرب وعدم نقاوته وتعقيمه في العراق سيزيد من مخاطر انتشار الأمراض الوبائية آذانًا مُصغية لدى القائمين على إنتاج المياه طيلة خمس سنوات. وهو ما أجبر المواطنين في معظم محافظات العراق، خاصة في البصرة (560 كم جنوب بغداد) وثاني أكبر المدن، على شراء مياه الشرب من الصهاريج بأسعار مرتفعة ونوعيات هشة لا تتوفر فيها الشروط المطلوبة.

تقول السيدة **هناء** وهي من سكان منطقة الشعب في الرصافة، وأم لخمسة أطفال: «**كنا نشتري الماء من صهاريج لكن سعره الآن أصبح مرتفعا ولا قدرة لنا على شرائه حيث يكلف 3000 دينار (دولارين و30 سنتا) لقاء 200 لتر فقط وهو يكفي للشرب دون الاغتسال.. والآن أصبحنا نجلب الماء من الأنهار وبعض الخنادق للاستعمال اليومي وقد تسبب ذلك في إصابة اثنين من أولادي بالإسهال واضطروا للمكوث في المستشفى أيامًا**».

وربما تكون النصيحة الوحيدة التي وجدت آذانًا مُصغية لدى السكان أطلقها **ناصر محمد علي** من مديرية صحة محافظة النجف (180 كم جنوب بغداد) من خلال قيامهم بغلي الماء قبل استعماله بعد أن أصيب العديد من الأطفال في تلك المنطقة بالكوليرا نتيجة تلوث المياه.

ليست تلك المشاكل وحدها هي التي ساهمت في رداءة مياه الشرب، بل إن المسؤولين في قطاع المياه لا يترددون من طرح مشكلة عالقة وخطيرة وهي النقص الهائل في مادة الكلور المعقمة، ويشيرون إلى خطورة تلك الحالة وبقائها معلقة مما يهدد بانتشار الأمراض كالنار في الهشيم..

ويبرر صانع القرار النقص في مادة الكلور بالحيلولة دون وصولها إلى المسلحين لاستخدامها في أعمال حربية.

في ظل كل تلك الهواجس والمعضلات هل سنحصل على ماء صالح للشرب وكاف في المستقبل القريب في بلد يمر فيه اثنان من أهم أنهر العالم؟ ●

(*) كاتب عراقي متخصص في العلوم السياسية

ICRC

# أحلام ضائعة في المنطقة العازلة

**منذ العام 2005 تعيش مجموعة من العائلات اللاجئة من أصل إيراني–كردي في مخيم في المنطقة الحدودية بين الأردن والعراق في ظروف مأساوية من دون حل لمشكلتهم.**

ربى عفاني*

**تدخل** المخيم وعلامات القسوة والبؤس ظاهرة على وجوه وفي عيون مستقبليك. نظرات تحملك أكثر بكثير مما تستطيع فعله، وهم سنين طالت ولم يأت أوان إنهائها بعد. منذ زمن غير بعيد كانت الوجوه نفسها تستقبلك بانشراح واضح، أما الآن فهي غير مبالية وأقرب إلى اليأس.

للسنة الثالثة على التوالي تستمر محنة أكثر من 190 شخصا من أصل إيراني–كردي، يحاولون العيش في المنطقة المهجورة التي أُطلِق عليها اسم «مخيم المنطقة العازلة»، وهي عبارة عن مساحة رملية صغيرة تقع بين علامتي الحدود الأردنية والعراقية، حيث يصارع هؤلاء من أجل البقاء في بيئة غير مستقرة تتصف بشُح المياه النقية، ونقص المرافق السكنية، والغذاء غير المناسب، وعدم إمكانية الالتحاق بالتعليم المدرسي الرسمي...هذا عدا عن انعدام الأمل.

تتنقل هذه المجموعة من مكان لآخر منذ العام 1980 نتيجة لعدد من الصراعات آخرها الوضع في العراق. وتضم بين أفرادها 38 امرأة و65 طفلا دون الثماني سنوات ممن تركوا العراق في يناير/كانون الثاني من العام 2005 نظرًا للأوضاع الأمنية المُتردية. بحثوا عن ملاذٍ آمِن، فوجدوا الرفض وبقعة من الصحراء حيث افترشوا الأرض والتحفوا السماء. ولا يزالون منذ ذلك الحين يبحثون دون جدوى عن مكانٍ آمِن للاستقرار وبدء حياة جديدة.

**كومار**، ابنُ المنطقة العازلة، في الثالثة من عمره، ولد بوضع صحي خاص حيث يعاني من خلل وظيفي بالدماغ بسبب تشوهات خلقية، فهو فرد من عائلة مكونة من سبعة أفراد، أدخل إلى المستشفى في الأردن أربع مرات. هذا الطفل، ذو البسمة الساحرة التي لا تفارق وجهه حتى وهو في أشد ألمه لا يستطيع الكلام. يعيش هو وعائلته أصعب محنة بسبب عدم إمكانية الوصول إلى الخدمات الطبية المناسبة لحالته ومع ذلك فهم اختاروا العيش بأمان في هذه البقعة تحت البرد القارس والحر الذي لا يحتمل، آخذين مخيمهم غطاء لهم على أن يعيشوا في خوف مستمر، مع احتمالية أن يعيش كومار معاقا طوال حياته.. ذلك إن كتب له أن يعيش.

أما **إيمان**، فطفلة لم تتجاوز السنوات العشر، تتعلم في مدرسة المخيم– إن صحت تسمية المدرسة على المكان الذي يرتاده أطفال المخيم حيث يتلقون تعليمهم للغة الكردية–الإيرانية وبعض الإنك ليزية من أقرانهم الأكبر سنا. قررت **إيمان** أن تكتب رسالة خلال زيارة فريق اللجنة الدولية إلى المخيم تعبر فيها عما يجول في عقلها من أفكار. تقول إيمان بكلمات بسيطة بلغة إنكليزية ضعيفة موجهة إلى المنظمات الإنسانية: «**الحياة ليست فقط مجرد أن تأكل وتشرب، الحياة من دون حرية هي الموت البطيء**»، وتختم رسالتها بالقول «**أنا إنسانة وأريد أن أعيش كإنسانة**».

لقد استجابت اللجنة الدولية للصليب الأحمر لأوضاع اللاجئين الإنسانية المُلحة بتوفير حاجاتهم الأساسية. فحتى تاريخه، قامت اللجنة بتأمين مصدر مياه شرب لهذه المجموعة، ووزعت بعض الأدوية والأدوات الصحية الشخصية، وماكينات الخياطة، وألعاب الأطفال التعليمية والترفيهية. بالإضافة إلى ذلك، عملت اللجنة على تسهيل إخلاء المرضى المحتاجين للعلاج الطبي العاجل إلى مستشفى الهلال الأحمر الأردني. وللمحافظة على الروابط الأسرية مع أقربائهم وأحبائهم، نفذت اللجنة برامج بحث وتقصي لتمكين تلك المجموعة من تبادل رسائل الصليب الأحمر مع الأقارب.

لكن بالرغم مما سبق، لا يمكن الإبقاء على هذا الوضع أطول من ذلك، فحياة 194 إنسانا هي في طي النسيان وهم بحاجة ماسّة للمساعدة. وهو ما دفع اللجنة الدولية للصليب الأحمر لمناشدة أصحاب القرار إيجاد حل نهائي يضمن سلامة هؤلاء الناس ومن ثم تنفيذه، وبالتالي وضع نهاية لإحدى المآسي التي تعاني منها المنطقة.

كل ما يطلبه هؤلاء الأشخاص هو مكان يوفر لهم الحياة الطبيعية، كأن يذهب أطفالهم إلى المدارس وأن يتمكن ذووهم من العمل، فأوضاعهم المعيشية الحالية مؤسفة حقًا، خاصةً بغياب أي خطة أو برنامج لإعادة توطينهم في بلد يعيشون فيه بأمان. أما دور اللجنة هنا، كدورها في مختلف بقاع العالم، فهو دور منظمة إنسانية محايدة وغير منحازة مهمتها حماية ضحايا النزاعات المسلحة وغيرها من حالات العنف وتقديم المساعدة لهم ●

(*) مسؤولة قسم الاتصال والإعلام
في اللجنة الدولية للصليب الأحمر– عمان

ICRC

AFP

# مخيم «نهر البارد» يكافح من أجل البقاء

**بعد عام على انتهاء النزاع المسلح الذي أحال مخيم نهر البارد للاجئين الفلسطينيين في شمال لبنان إلى ركام وأنقاض، مازال المخيم يضمد الجروح الغائرة. فملايين من الدولارات قيمة أصول وممتلكات ومشاريع ذهبت أدراج الرياح جراء عمليات القتال الضارية التي دارت رحاها بين الجيش اللبناني وجماعة «فتح الإسلام» من مايو/ أيار وحتى أغسطس/آب 2007 وأدت إلى إفقار سكان المخيم البالغ عددهم 30 ألف نسمة.**

سمر القاضي*

**تعود** الحياة باستحياء إلى المخيم وسط الدمار الشامل والخراب. فقد عادت قرابة ألفي أسرة إلى المخيم بعد أن نزحت إلى مخيم البداوي المجاور خلال العمليات العسكرية. وأعيد توطين الغالبية في مآوٍ جاهزة الصنع للإقامة فيها بشكل مؤقت إلى أن يعاد بناء المخيم. والبعض الآخر اختار الإقامة داخل بعض المحال أو الشقق التي لم تدمر تماما وتصلح للسكن فيها مؤقتا.

وتتناثر المحلات الصغيرة في حارات وأزقة المخيم وعلى الطريق الرئيسي بين المباني المدمرة والجدران الملطخة بالكتابات والمنشآت المتهدمة. وهناك محاولات لإعادة إحياء •••

(*) مسؤولة الإعلام في اللجنة الدولية للصليب الأحمر– بيروت

الأعمال التجارية التي كانت مزدهرة قبل الحرب عندما كان مخيم نهر البارد مركزا تجاريا مهما بالنسبة لمنطقة شمال لبنان بأسرها. ووفقا للجنة الشعبية المعنية بالشؤون الإدارية والإنمائية في المخيم: «**يحاول السكان إعادة بناء حياتهم والخروج من تحت الأنقاض**».

ويعلق **أبو وسام غريب** أحد أعضاء اللجنة على الوضع قائلا: «**مازلنا نعيش داخل مخيم يحاول جاهدا أن يلتقط أنفاسه بعد القصف الذي تعرض له**». ويضيف قائلا: «**كان المخيم يعج بالحياة وتزدهر فيه الأعمال إلا أن كل ما بنيناه طيلة ستين عامًا قد ضاع في أقل من ثانية... لقد دفع المدنيون هنا ثمن النزاع غاليًا**».

وأجمع الأعضاء على الحاجة إلى تيسير الوصول إلى المخيم لاسيما في ما يخص حرية حركة الناس ونقل البضائع من أجل تحقيق الانتعاش الاقتصادي والاجتماعي في المخيم

**بعد أن دمرت منازلهم، يعيش سكان المخيم العائدون حياة صعبة داخل منازل مؤقتة أقامتها وكالة الأنروا**

بشكل سريع. ويقول **غريب**: «**من الضروري تيسير عملية التبادل والتفاعل بين المخيم والعالم الخارجي حتى تدب فيه الروح من جديد ويعود سكانه لممارسة حياتهم الطبيعية**». كما أشار إلى أن الأوضاع الاقتصادية التي دمرها النزاع المسلح تدميرا كليا قد تفاقمت جراء ارتفاع نسبة البطالة بين سكان المخيم بشكل كبير. ويراقب الجيش اللبناني منافذ ومعابر المخيم حيث يقتصر الدخول على المقيمين فيه والزوار الحاملين لتصاريح خاصة.

## ظروف حياة صعبة

وبالرغم من سعادتهم بالعودة إلى المخيم، يعيش سكانه العائدون حياة صعبة داخل المنازل المؤقتة التي أقامتها وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأنروا) كحل مؤقت. فقد جرى إسكان الأسر التي لا تتعدى خمسة أفراد في وحدة سكنية مساحتها 17 مترا مربعا تشمل مكانا للنوم وحوضا كمطبخ ودشا صغيرا ومرحاضا. بينما جرى تخصيص وحدتين للأسر التي يزيد عددها على خمسة أفراد.

وقام بعض العائدين بطريقة ارتجالية بوضع بسطات لبيع الفاكهة والخضروات وبعض المواد الغذائية القليلة والمشروبات غير الروحية والبسكويت وذلك على زوايا الأزقة وتحت السلالم. وبالرغم من فرحته بالعودة للمخيم، يقول أحد المسنين وقد جلس مستسلما أمام الخضروات التي يبيعها: «**علينا أن نجد سبيلا إلى كسب العيش بأي شكل كان**».

ولا يزال الطريق طويلا حتى تعود الظروف المعيشية إلى سابق عهدها داخل المخيم الذي دمرته الحرب بعد أن كان الأكثر ثراء بين الإثني عشر مخيما التي يعيش فيها اللاجئون الفلسطينيون في لبنان. فالكهرباء لا تصل للمخيم سوى لبضع ساعات في اليوم والشاحنات المزودة بالصهاريج توفر المياه للسكان الذين يحصلون على الرعاية الصحية داخل عيادات تديرها «جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني» و«الأنروا» والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وهي مجهزة لعلاج الحالات البسيطة والسهلة فحسب.

ويردد أعضاء اللجنة الشعبية شكاوى السكان ويشيرون إلى عدم بذل جهود فعلية لإعادة الحياة للمخيم ثانية. ويقول **أبو صهيب** وهو أحد أعضاء اللجنة: «**بالرغم من مرور عام على الحرب وأكثر من تسعة أشهر على انتهاء العمليات العدائية، مازال السكان يعيشون الظروف البائسة نفسها التي سادت أثناء احتدام الحرب**».

## عودة الحياة باستحياء

أعيد فتح عدد من المحال والأعمال التجارية الصغيرة في الشارع الرئيسي للمخيم لتلبية احتياجات العائدين من لحوم وفاكهة وخضروات وملابس وأثاث وحتى الحلويات الشرقية. كما تتوفر أيضا مواد بناء خفيفة، كالطلاء فضلا عن الأدوات الكهربائية والأجهزة الكهربائية المنزلية. ويعلق **علي عواد** صاحب أحد المحال التجارية التي أعيد فتحها مؤخرا لبيع الملابس الجاهزة والعطور قائلا: «**أصبح المخيم تقريبا يتمتع بالاكتفاء الذاتي**».

كانت قيمة تجارة **عواد** 300 ألف دولار قبل الحرب وتعين عليه أن يبدأ من الصفر مرة أخرى. ويقول **عواد**: «**كانت كارثة حقيقية أتت على مخزون الملابس بأكمله عدا قبعتين**». فلقد دمر تماما محله التجاري وشقته الواقعان في المنطقة القديمة من مخيم نهر البارد والتي تسمى «المخيم القديم». يعد **عواد** واحدا من بين 1400 من أصحاب الأعمال في نهر البارد الذين فقدوا تجارتهم. ويضيف **عواد** قائلا: «**لكي تعود الحياة لطبيعتها مرة أخرى، ينبغي ترميم البنية التحتية بما في ذلك الكهرباء والمياه والطرق وفتح المخيم من جديد على العالم الخارجي**».

وتعتمد الأعمال التجارية في مخيم نهر البارد بشكل كبير على بيع البضائع للزبائن من خارج المخيم. يقول **عواد**: «**كانت ثلاثة آلاف أسرة في المخيم تكسب قوتها من هذه الأعمال وتستفيد من التجارة المزدهرة. واليوم بالكاد يستطيع أصحاب الأعمال تدبير أمور معيشتهم**».

وعلى الطريق الرئيسي للمخيم، يبيع **ناصر فرجاوي** الأدوات الكهربائية من محولات ومصابيح إضاءة ومفاتيح كهرباء وثريات في محله البالي. فبعد أن كان يمتلك متجرين في المخيم القديم، يعيد **فرجاوي** بناء تجارته التي كانت مزدهرة في يوم من الأيام. ويقول: «**لقد اضطررت لبيع الحلي الذهبية التي تمتلكها زوجتي لتوفير رأس مال لكي أتمكن من معاودة العمل**». ويتذكر **فرجاوي** «الأيام الخوالي» عندما كان يستعين بثمانية أشخاص للعمل على إدارة تجارته، «**أما اليوم، فأنا أعمل بمفردي، أحاول أن أفعل شيئا من لا شيء**».

## جهود لتأمين المياه

ومن منطلق الدور الحيوي الذي تقوم به من أجل مساعدة المدنيين أثناء العمليات العدائية وبموجب التفويض الدولي الممنوح لها لمساعدة السكان المتضررين من جراء الحرب، ساهمت اللجنة الدولية للصليب الأحمر في خروج المخيم للنور من جديد من خلال ترميم شبكة المياه الرئيسية للمخيم بتكلفة 250 ألف دولار أمريكي. وقد أنشئت الشبكة من أجل تلبية احتياجات سكان المخيم المقيمين حاليا والمحتمل تزايدهم في المستقبل.

وبالإضافة إلى ذلك، قامت اللجنة الدولية بإعادة تأهيل ثلاثة خزانات وتركيب أجهزة للتعقيم بالكلور لمعالجة المياه المستخرجة من أربع آبار وزودت إحدى الآبار بمولد للطاقة لضخ المياه الجوفية. وجرى تسليم المشروع بأكمله للأنروا بعد الانتهاء منه.

واليوم وبعد مرور عام على النزاع، لا يزال الطريق طويلا أمام مخيم نهر البارد لكي يضج بالنشاط من جديد كخلية النحل. فبالرغم من الجهود الدولية المخطط لها لجمع الأموال لإعادة بناء المخيم، ستستغرق إعادة الأوضاع الطبيعية وتهيئة ظروف معيشية مناسبة عدة سنوات. وفي غضون ذلك، يبدو أن العائدين يواجهون بشجاعة «أسلوب الحياة الجديد» ويشعرون على الأقل بالرضا لعودتهم إلى ديارهم ●

ICRC

عراقيون يُجرون اتصالات مع أقرباء لهم محتجزين

# مكالمة من غوانتانامو !

ICRC

في أفغانستان أصبح بإمكان العائلات الاتصال بأبنائهم المحتجزين في غوانتانامو

**منذ يناير/كانون الثاني 2002، يزور مندوبو اللجنة الدولية للصليب الأحمر الأشخاص المحتجزين في خليج غوانتانامو (كوبا)، والبالغ عددهم في الوقت الحالي حوالي 300 شخص من ثلاثين بلدا تقريبًا. وفي إطار جهودها للمّ شمل العائلات يسّرت اللجنة الدولية حتى الآن تبادل آلاف من الرسائل بين الأشخاص المحرومين من حريتهم وعائلاتهم التي تعيش في البلد الأصلي. لكنها في مارس/آذار 2008، بدأت بتيسير إجراء محادثات هاتفية بين المحتجزين وذويهم في البلاد المختلفة بعد أن وافقت السلطات في معسكر غوانتانامو على ذلك.** ●●●

## مكالمة من غوانتانامو

# عودة الروح إلى محمد !

**كان** الأول من أبريل/ نيسان 2008 يوما غير كل الأيام بالنسبة لـ**محمد**، فهو اليوم الموعود للتحدث مع الأحباء والأهل في اليمن. كان اليوم الذي سوف يستمع فيه **محمد** لصوت زوجته لكنه أيضا اليوم الذي سيستمع فيه للمرة الأولى لصوت ابنته التي لم يرها قبل وهي اليوم في ربيعها الثامن. لم تغمض عين **محمد** في ليلة الأول من أبريل/ نيسان وظل طوال الليل يصلي ويدعو الله بنجاح تلك المكالمة التي سوف تجمعه بأسرته عبر أسلاك الهاتف من صنعاء اليمن.

في الثامنة والنصف صباحا وهو التوقيت المنتظر، كان **محمد** يسترق السمع وكان يتمنى لأول مرة سماع خطى الضابط الأمريكي ليبشره بحقيقة إجراء المكالمة – وقد كان. حضر الضابط في الموعد المحدد ليأخذه إلى غرفة خاصة أعدت للمحادثات الهاتفية. ففي مارس/آذار 2008، وافقت السلطات في معسكر غوانتانامو للجنة الدولية للصليب الأحمر بتيسير إجراء محادثات هاتفية بين المحتجزين وذويهم في البلاد المختلفة. وكان مندوبو اللجنة يزورون منذ يناير/ كانون الثاني 2002 هؤلاء المحتجزين حيث سهلت اللجنة تبادل آلاف من الرسائل المكتوبة والشفوية السريعة وبطاقات المعايدة بينهم وبين ذويهم.

على طول المسافة بين الزنزانة وغرفة الهاتف كانت الخطوات تسرع ومعها تسرع دقات قلب **محمد** وهو يتساءل: هل حقيقة ستكون هناك مكالمة هاتفية؟ هل سينجح إجراء هذه المكالمة عبر آلاف الأميال؟. من سيكون حاضرا على الجانب الآخر من الأهل والأحباء؟ كيف هو صوت الزوجة الحبيبة، الابنة، الوالد

**حاتم فضل الله***

والوالدة، بعد كل هذه السنين؟ خلال تلك الدقائق، كان **محمد** قد استعاد شريط الذكريات وهو بين أهله وعشيرته.

حاول أن يتمالك نفسه، ويفكر مع من سوف يتحدث أولا وماذا سوف يقول للزوجة وكيف سيشكرها على صبرها عليه طوال فترة احتجازه. كان يحاول أن يتمالك نفسه كي لا ينهار ولا يبكي حتى لا تضيع دقائق هذه المكالمة الغالية.

على الجانب الآخر في صنعاء، كان 21 فردا من عائلة **محمد** حاضرين في مكتب اللجنة الدولية للصليب الأحمر. الوالد والوالدة والزوجة والابنة والآخرون مجتمعون في تلك الغرفة يستمعون لمندوب اللجنة الدولية وهو يشرح لهم آلية حصول المكالمة وشروط نجاحها وماهو المسموح وغير المسموح قوله خلال المكالمة. كان أغلب أفراد العائلة يشتركون في بكاء حار تتخلله لحظات من الدعاء بنجاح الأمر والشكر للجنة الدولية بترتيبه. بالرغم من أن الوالدة كانت ستتحدث مباشرة مع ابنها بعد دقائق، إلا أنها ما برحت تسأل المندوب الذي زار «غوانتانامو» قبل ثلاثة أشهر عن أحوال **محمد** وصحته وملامحه أهو بلحية أو من دونها؟ كان أبو **محمد** يتمالك نفسه وقد قام بترتيب أدوار افراد العائلة ومن منهم سيتحدث أولا ومن سيليه.

في تمام الرابعة بعد الظهر بتوقيت اليمن، التاسعة صباحا بتوقيت غوانتانامو، قام المندوب بالاتصال وتحدث إلى الضابط الأمريكي معرفا عن نفسه وعن أفراد عائلة **محمد** الحاضرين. في تلك الأثناء كانت أنظار الأسرة مسمرة على سماعة الهاتف كمن يرغب أن يعبر عبر الأسلاك إلى الجهة الأخرى.

تناول الوالد السماعة ولكن الكلمات ضاعت مع سماع صوت ابنه الحبيب يرد التحية وبكى الوالد بكاء حارا أبكى معه جميع أفراد العائلة. بعدها غادر المندوب الغرفة حتى يتسنى للأسرة التحدث بحرية.

لكن بعد مغادرته الغرفة، انتقلت عدوى القلق للمندوب نفسه فكان يتساءل ما إذا كان الصوت مسموعا لوالدي **محمد** كبار السن؟ هل سيلتزم أفراد العائلة بما سمح لهم بتبادله من أخبار عائلية حتى لا تقطع المكالمة من جانب السلطات؟ هل سيصمد خط الهاتف لساعة كاملة من غير انقطاع. هل يصدق أفراد العائلة بأن المتحدث من الطرف الآخر هو ابنهم الحبيب **محمد**؟ كل تلك الأسئلة كانت تدور في رأس المندوب لساعة كاملة.

بعد مضي الوقت المحدد للمكالمة، خرج أفراد العائلة ولسان حالهم الشكر والعرفان والدعوات بصلاح الحال وتحقيق الأماني بينما والدا **محمد** يتساءلان عن إمكانية التحدث مع ابنهما مرة أخرى ●

ICRC

**تسليم رسائل إلى عائلة في أفغانستان من ابنها المحتجز**

(*) مندوب في قسم الحماية في بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر– صنعاء



## مكالمة من غوانتانامو

# لمّ الشمل عبر آلاف الأميال

**الأربعاء** 27 فبراير/شباط 2008، قد يكون يوما عاديا بالنسبة للكثيرين لكنه استثنائي لأسرة **أحمد****
المحتجز في معسكر غوانتانامو منذ ستة أعوام. هذه الأسرة التي انتظرت شهورا وأعواما لمعرفة مصير ولدها، ها هي تضرب موعدا جديدا مع انتظار مختلف عما سبق. انتظار تفوح منه رائحة الفرح مثلما أكد والد **أحمد**: «**صحيح أن تبادل الرسائل عن طريق اللجنة الدولية للصليب الأحمر ساعدنا على ربط الصلة لكن سماع صوته بعد سنوات من الفراق أشبه بحلم يتحقق**».

يرقب أفراد العائلة على أحر من الجمر وصولنا إلى بنزرت (إحدى محافظات شمال تونس). استقبلنا الأهل والبسمة تعلو محياهم، بسمة امتزجت بنظرات قلقة فسرتها شقيقة **أحمد** بالقول: «**الآن فقط صدقت أن المكالمة الهاتفية حقيقية وليست ضربا من الخيال!**».

تبادلنا أطراف الحديث بسرعة مع العائلة، إذ كان كل فرد منهم مستغرقا في أفكاره أو مستحضرا بعض الذكريات.

مرت الدقائق التي كانت تفصلنا عن التوقيت المحدد لإجراء المكالمة، الثالثة من بعد الظهر، ببطء شديد وكأن عقارب الساعة تأبى أن تتحرك. أخيرا دقت الساعة ودقت معها قلوب أفراد الأسرة. لم تفارق نظراتهم القلقة مندوب اللجنة الدولية أثناء ربط الاتصال بمعسكر غوانتانامو. كانت حواسهم في استنفار تام ترصد أدنى حركة أو كلمة تصدر عن مندوب اللجنة

**سمية بلطيفة***

الدولية أو عن هاتفه النقال.

كان لهذا اليوم أن يكون أكثر بهجة، لكن غياب الأم ألقى بظلاله على هذا اللقاء وأضفى عليه مسحة من الحزن. لقد توفيت أم **أحمد** في نهاية العام 2007، وكان هذا أحد أهم الأسباب التي سهلت الاتصال الهاتفي. إذ بذلت اللجنة الدولية مساعي حثيثة لدى سلطات معسكر غوانتانامو حتى يتمكن أفراد الأسرة من تبادل التعازي ومعرفة أخبار العائلة. ويعد هذا النوع من تبادل الأخبار عبر الهاتف بين محتجز في غوانتانامو مع عائلته الأول من نوعه في تونس. وتتدخل شقيقة **أحمد** الصغرى مؤكدة: «**نحن مجتمعون هنا بفضل والدتي التي لا زالت تشملنا برعايتها**».

استمر الانتظار عشر دقائق أخرى خيم خلالها صمت رهيب. وما إن تم الاتصال بالضابط الأميركي في معسكر غوانتانامو وأعلن مندوب اللجنة الدولية عن بدء المكالمة الهاتفية، حتى صرخ والد **أحمد** قائلا: «**لا أستطيع تصديق ما يحدث**». بضع دقائق فقط وسيتمكن الوالد والشقيق والشقيقتان من سماع صوت **أحمد** والتحدث إليه لأول مرة بعد فراق سنوات طوال.

وخلال ساعة من الزمن استطاع **أحمد** وأفراد أسرته، التحدث مباشرة وتبادل الأخبار. كانت فترات من الصمت تتخلل بداية الحديث. لكن سرعان ما انفلتت الكلمات من عقالها وتدافعت الأسئلة والأجوبة عن الأحوال والأخبار والأصدقاء.

كان والد **أحمد** شديد التأثر فلم يستطع أن يحبس دموع الفرحة عند سماعه صوت ولده عبر الهاتف. أما أخته الصغرى، فما أن أنهت محادثتها الأولى حتى صاحت قائلة: «**لقد تغير صوته كثيرا، فأنا لم أسمعه منذ أكثر من ست سنوات!**».

وكان أكثرهم تأثرا شقيقه الأكبر، إذ لم يستطع أن يحادث أخاه إلا بعد جهد جهيد. فما إن سمع صوته حتى انهمرت دموعه لكنه أسرع لإخفائها. كانت الحيرة والارتباك يكبلان لسانه فلم يعد يدري أي سؤال يطرح أو عن أي موضوع سيتحدثان بعد سنوات الغياب الطويلة. كان عليه أن يبذل جهدًا مضاعفا حتى يتمكن من لم شتات أفكاره والبحث عن الكلمات المناسبة. ويوضح والد **أحمد** في هذا الصدد قائلا: «**في البداية، لم يصدق ما كان يحدث. كانت المفاجأة كبيرة ولكنه في غاية السرور**».

انقطع الخط إثر انتهاء الساعة المخصصة للاتصال الهاتفي ليترك أفراد الأسرة في حالة من عدم التصديق والسرور. وجوه مستبشرة وقلوب يحدوها أمل لم الشمل في أحد الأيام ●

AFP

(*) قسم النشر والإعلام في بعثة اللجنة الدولية–تونس (**) اسم مستعار

## الذخائر العنقودية:

# اتفاقية تاريخية لحماية المدنيين

**في خطوة تاريخية وافقت 110 دول على معاهدة تحظر استخدام الذخائر العنقودية وإنتاجها وتخزينها وذلك خلال مؤتمر ديبلوماسي انعقد في العاصمة الأيرلندية دبلن نهاية شهر مايو/ أيار 2008.**

**خلال** عقود طويلة تسببت الأسلحة العنقودية بقتل أو جرح آلاف المدنيين في مناطق مختلفة من العالم لاسيما في لاوس، وكمبوديا، وفيتنام، وأفغانستان. كما تسببت الذخائر العنقودية التي استخدمت في نزاعات حدثت مؤخرًا بمئات من الإصابات بين المدنيين في لبنان والعراق وكوسوفو، وصربيا، وإريتريا، وإثيوبيا. وقد دفع المدنيون ثمنًا غاليًا لافتقار هذه الذخائر التي تلقى بأعداد هائلة على مساحات شاسعة، إلى الموثوقية والدقة فتستمر آثارها، كما حال الألغام الأرضية، فترات طويلة بعد انتهاء الصراع العسكري.

في ظل هذا الواقع اجتمع في دبلن من 19 إلى 30 مايو/ أيار الماضي ممثلو أكثر من مائة دولة لبحث هذه المسألة (هو الاجتماع الأخير ضمن سلسلة اجتماعات سبقته) وانتهى بالاتفاق حول معاهدة تاريخية تحظر استخدام الذخائر العنقودية وإنتاجها وتخزينها ونقلها. كما تلزم الدول بتطهير المناطق الملوثة بالذخائر العنقودية القابلة للانفجار ومساعدة الضحايا ومجتمعاتهم.

ويقول رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر **جاكوب كيلينبرغر**: «**لقد كانت اللجنة الدولية دائمًا شاهدة على الأثر الرهيب للذخائر العنقودية على المدنيين . فالاتفاقية المعتمدة في دبلن تعني أن هذه الأسلحة غير مقبولة ليس فقط أخلاقيًا وإنما أصبحت الآن غير قانونية بموجب القانون الدولي الإنساني. وعندما تنفذ الاتفاقية سوف تمنع معاناة مروعة للمدنيين**».

وكانت اللجنة الدولية قد دعت في البداية إلى إبرام معاهدة بشأن الذخائر العنقودية وإلى وقف استخدامها في العام 2000 عقب النزاع في كوسوفو، حيث قامت أثناءه بتوثيق خسائر بشرية هائلة. ففي أكثر من عشرين بلدًا حولت الذخائر الصغيرة القابلة للانفجار مناطق شاسعة إلى ما يشبه حقول الألغام في خطورتها، لاسيما أن ميراثها القاتل يستمر لأجيال عدة.

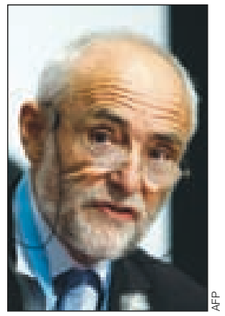
AFP

رئيس اللجنة الدولية جاكوب كلينبرغر متحدثًا في مؤتمر دبلن

وعبر **كلينبرغر** في كلمة ألقاها في جلسة افتتاح المؤتمر عن ثقته «**بأن الاتفاقية سيكون لها أثر إيجابي على سياسات وممارسات الدول التي ليست طرفًا فيها وستبدأ في قلب الزيادة المطردة لأعداد المستعملين الجدد لهذه الأسلحة المقيتة... حقًا، لقد انتظرت الضحايا وانتظر العالم لأكثر من أربعين عامًا صياغة هذه الاتفاقية**».

يمكن لبعض الذخائر العنقودية أن تنثر ما يصل إلى 650 ذخيرة صغيرة متفجرة على مساحة تتجاوز 30 ألف متر مربع. وبدون عمل دولي عاجل مشترك، يمكن أن تصبح الآثار الإنسانية للذخائر العنقودية أسوأ بكثير مما هي عليه آثار الألغام المضادة للأفراد التي تحظرها الآن 156 دولة. وخلافًا للألغام المضادة للأفراد التي كانت عمليًا بين أيدي جميع القوات المسلحة، لا تملك حاليًا ذخائر عنقودية سوى حوالي 75 دولة وتصنعها 34 دولة. لكن المخزونات من هذه الأسلحة هائلة وتصل إلى الملايين من حاويات الذخائر العنقودية التي تحتوي على بلايين الذخائر الصغيرة الفردية. ومعظمها آخذ في التقادم وبات يفتقر إلى الموثوقية على نحو متزايد.

وقد غاب لعقود عدة التحرك الدولي أمام المشكلات الإنسانية التي تسببها الذخائر العنقودية. لكن السنتين الأخيرتين أثارتا وعيًا متزايدًا للمشكلة إلى جانب اقتراحات لحلول طموحة وواقعية.

ويقول مدير وحدة الأسلحة في اللجنة الدولية **بيتر هيربي** «**أدركت الدول مشاكل الذخائر العنقودية منذ عقود لكنها لم تبدأ في اتخاذ الإجراءات إلاّ في أعقاب التلوث الهائل الذي أحدثته هذه الأسلحة في جنوب لبنان عام 2006. فمنذ النزاع في لبنان الذي اندلع في منتصف العام 2006، قُتِل قرابة 200 مدني أو أصيبوا بجروح جراء الذخائر غير المنفجرة. إضافة إلى ذلك يؤدي وجود ذخائر عنقودية غير منفجرة، إلى تأخير المساعدة الإنسانية وعرقلة جهود إعادة الإعمار وجعل استخدام المناطق الزراعية بالغ الخطورة...**»

ويرى **هيربي** أن أمامنا الآن «**فرصة منع معاناة إنسانية هائلة عن طريق ضمان عدم استخدام تلك المخزونات وتدميرها. أما إذا انتشرت واستخدمت، فإننا قد نشهد أزمة إنسانية أكبر حجما من تلك التي تسببها الألغام الأرضية**».

وكانت 110 دول قد أعلنت خلال المؤتمر على الاتفاقية. سوف تفتح اتفاقية الذخائر العنقودية للتوقيع في أوسلو مطلع شهر ديسمبر/كانون الأول 2008 ثم تدخل حيز التنفيذ عندما تصادق عليها 30 دولة ●



الملف

REUTERS

# الصحافيون
## ضحايا السلاح وسلاح الحروب

تصدر سنويا تقارير تقيم وضع حرية الصحافة في العالم لاسيما في مناطق النزاع حيث يشكل الصحافيون الميدانيون في كثير من الحالات أرقاما إضافية في سجل الضحايا. وقد سقط 87 صحافيا خلال العام 2007 أثناء تأديتهم لواجبهم المهني حيث اعتبر العراق أكثر الأماكن خطرا بالنسبة للصحافيين. لكن ما الذي يجعل الصحافيين والمصورين في كثير من الأحيان الحلقة الأضعف في الحروب؟ ومن يحميهم ويحمي حياديتهم؟ يتضمن القانون الدولي الإنساني العديد من المواد التي تفرض حماية لهم، لكن هل تطبق؟ يحاول هذا الملف أن يجيب عن بعض هذه الأسئلة من خلال تشكيل صورة عامة عن حال الإعلام في المنطقة العربية التي تشهد نزاعات عدة والانتهاكات التي يتعرض لها الصحافيون بالإضافة إلى آليات استخدام الإعلام من قبل البعض كسلاح في المعركة، أو كوسيلة لنشر السلام من قبل البعض الآخر.

**أظهرت الأحداث التي شهدتها شوارع بيروت الغربية في مايو/أيار الماضي مرة أخرى كيف يمكن لعناصر مناصرة لفريق سياسي أن تستهدف المؤسسات الإعلامية التابعة للفريق الآخر باسم الموقف السياسي. ومازال غالبيتنا يتذكر كيف كانت قناة المنار التي يمتلكها حزب الله أول هدف لإسرائيل خلال نزاع يوليو/تموز 2006. فكان المشهدان بمثابة تذكير إلى أي درجة أصبح الإعلام سلاح حرب في منطقة الشرق الأوسط.**

# الإعلام العربي: ضحايا وسلاح

لورانس بينتاك*

«من الطبيعي أن تكون هذه المؤسسات طرفا في النزاع الحالي لأنه من المؤكد أنها طرف في المعركة».

هذا ما يقوله المحرر الصحافي اللبناني **سركيس أبو زيد** لموقع «منصّات» الإلكتروني. إلا أن المؤسسات الإعلامية ليست وحدها أهدافا للعنف؛ فأعداد كبيرة من المراسلين والمحررين وأصحاب المدونات العرب يرزحون في سجون المنطقة. وما يبعث على الكآبة بشكل أكبر أنه خلال العام 2007 فقد 48 صحافيا حياتهم أثناء أدائهم لمهنتهم في الشرق الأوسط لاسيما في العراق حيث مات غالبيتهم، وبلغ عدد الصحافيين الذين لقوا حتفهم هناك منذ العام 2003 وحتى كتابة هذا المقال، 207 صحافيين وهو من أفدح الخسائر التي لحقت بالمراسلين منذ الحرب العالمية الثانية.

هناك العديد من الأسباب وراء استهداف الصحفيين في مناطق النزاع في الشرق الأوسط وفي العالم الإسلامي بشكل أوسع. ومن بين هذه الأسباب، الواقع المؤسف لوسائل الإعلام التي سمحت لنفسها بأن تكون أداة حرب وبالتالي باتت مستهدفة. فلنأخذ كمثال ما أوردته منظمة «مراسلون بلا حدود» من أن عدد الصحافيين الذين قتلوا في العالم خلال الستة أعوام الماضية قد ارتفع بنسبة 244 بالمائة إذ بلغ عدد القتلى من الصحافيين العام الماضي 85 صحافيا بعد أن كان عددهم 25 صحفيا في العام 2002. وخلال السنوات التي تلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول 2001، أصبحت المؤسسات الإخبارية في الغرب، تحديدا في الولايات المتحدة وفي العالم العربي، تحدد هويتها وفقا لانحيازها لأي جانب من المقاتلين.

ومؤخرا، بات هناك اعتراف في أوساط المراكز الإخبارية على جانبي العالم بأن وكالات الأنباء قد سمحت لنفسها بأن تصبح طرفا في النزاع. بيد أن الضرر قد وقع بالفعل. فاليوم، يعترف من يخططون للحرب سواء في البنتاغون أو في الأحياء الفقيرة في بغداد أو في جبال أفغانستان بأنه كما يقول **أيمن الظواهري** الرجل الثاني لتنظيم القاعدة: «**إن أكثر من نصف المعركة يدور في ساحة القتال الإعلامية**».

وتقر الحكومات أيضا بالقوة التي تمتلكها الصحافة حيث لا يكاد يمر يوم دون أن يكون هناك خبر حول مراسل أو محرر أو «صحافي» آخر قد ألقي في السجن من قبل نظام أو آخر. وبالنظر إلى الخريطة التي أعدتها «منظمة مراسلون بلا حدود» لحرية الصحافة في الشرق الأوسط نجد أنها شديدة القتامة، ففي العام 2007 لقي نحو 50 صحفيا ومساعدا إعلاميا مصرعهم كما تعرض أكثر من 160 صحفيا ومدونا للتوقيف أو السجن أو الاختطاف كما تعرضت أعداد أكبر للاعتداءات والتهديد.

كثيرا ما أسأل عن ما إذا كان هناك تحسن في أحوال الإعلام في العالم العربي. الأمر يعتمد على رؤيتنا إلى النصف الممتلئ أم الفارغ من الكوب. فيبدو أن كل تطور إيجابي يقابله تطور سلبي والعكس صحيح. ففي الإمارات العربية ظهرت مؤخرا إلى النور جريدة يومية جديدة باللغة الإنكليزية قيل أنها جريئة ويعمل بها صحفيون عرب وأجانب على درجة عالية من الكفاءة. والهدف منها بحسب ما قال لي الرجل الثاني في الجريدة السيد **حسن فتاح** هو «**المشاركة في جهود الإصلاح**» في الإمارات. ومع ذلك، نجد داخل ما بات يمثل اليوم حرية الصحافة وهي المدينة الإعلامية في دبي التي طالما كانت مصدر فخر، قد أصابها بعض التلف إذ إن الحكومة، إرضاء لأحد الرؤساء من حلفائها، منعت قنوات فضائية معارضة له تبث من هناك من العمل.

وفي الوقت نفسه ومن بين القصص التي تسربت من أوساط المراكز الإخبارية، تلقت سمعة قناة الجزيرة ضربة، إذ أمرت السلطات القطرية القناة بعدم مهاجمة بعض الدول العربية من أجل الوحدة السياسية وغيرها في مواجهة التهديدات الإقليمية. وتعد هاتان المسألتان مثالين على استخدام الإعلام كسلاح في «الحرب الباردة».

إلا أن الصورة ليست كلها قاتمة. هناك جانب مضيء، فقد كانت قناة المنار التابعة لحزب الله في مقدمة الذين أدانوا عمليات التدمير التي لحقت بمحطة تليفزيون المستقبل وجريدة المستقبل ●

REUTERS

خلال مظاهرة في غزة صحافي فلسطيني يرتدي السترة الواقية لزميله فضل شناعة الذي قُتل خلال أدائه عمله

(*) Lawrence Pintak ناشر ومحرر مشارك في موقع Arab Media & Society ومدير مركز الصحافة الإلكترونية التابع للجامعة الأمريكية في القاهرة.



# القانون الدولي الإنساني و حماية الإعلاميين في النزاعات المسلحة

**يستعرض هذا المقال أحكام القانون الدولي الإنساني التي توفر الحماية للإعلاميين وتسهل قيامهم بواجباتهم المهنية، فيُبيّن أنه يمكن الحدّ من الأضرار التي تقع على الصحافيين وأطقمهم كثيرا إذا ما احترمت هذه الأحكام وطبقت على نحو أكثر شدة.**

كنوت دورمان*

تتعرض الصحافيون وأفراد أطقمهم الذين يجازفون بتغطية النزاعات المسلحة لمخاطر كبيرة نتيجة للعمليات الحربية؛ فربما وقعوا ضحايا للعمليات العدائية الجارية على أرض المعارك كالغارات الجوية أو إطلاق النيران المباشرة من الأعداء أو الرصاصات الطائشة أو انفجار الألغام.

وقد يقع الصحافيون والفرق المصاحبة لهم، من ناحية أخرى، ضحايا لأعمال العنف العشوائية كالقتل والتوقيف والتعذيب والاختفاء التي يقوم بها أفراد من قوات الأمن أو القوات المسلحة أو أطراف مسلحة غير تابعة للدولة في البلد الذي يعملون فيه.

## حماية الصحافيين بموجب القوانين القائمة

ينصب نطاق عمل القانون الدولي الإنساني على تجنيب الأشخاص غير المشاركين – أو الذين كفوا عن المشاركة – في الأعمال العدائية المباشرة، الأذى الذي لا داعي له نتيجة للنزاع المسلح. ومن ثم، لا تتعرض مواثيقه إلى مجالات كحرية الصحافيين في العمل أو التعبير. وهذه المواثيق لا تمنح الحق في دخول أراض دون موافقة السلطة الحاكمة لها، وتضع قواعد أساسية للحماية القانونية المكفولة للصحافيين متى وجدوا أنفسهم في إطار نزاع مسلح.

ورد ذكر الصحافيين في معاهدات القانون الدولي الإنساني بطريقتين مختلفتين، الأولى: في اتفاقية جنيف الثالثة المتعلقة بمعاملة أسرى الحرب التي تغطي مراسلي الحرب. والثانية: في البروتوكول الإضافي الأول إلى اتفاقيات جنيف الصادر في العام 1977، الذي يتناول بشكل محدد مسألة الصحافيين الذين يقومون بمهام مهنية خطيرة في مناطق النزاع المسلح. وكلتا المعاهدتين تسري على النزاعات المسلحة الدولية.

مراسلو الحرب هم ممثلو وسائل الإعلام المعتمدون الذين يصاحبون القوات المسلحة في حالات النزاع المسلح، دون أن يكونوا أفرادا فيها. وهذا هو وضع الجزء الأعظم من الصحافيين المرافقين الذين غالبا ما يتم «إدراجهم» داخل وحدات عسكرية بعد موافقتهم على عدد من القواعد الميدانية التي تلزمهم بالبقاء مع الوحدة التي التحقوا بها والتي تكفل حمايتهم. لذلك تجري مساواتهم بمراسلي الحرب بالمعنى المذكور في اتفاقية جنيف الثالثة. فيحق لهؤلاء الصحافيين، رغم كونهم مدنيين، التمتع بوضع ومعاملة أسرى الحرب في حالة القبض عليهم. وفي هذه الحالة، تكون بطاقة الهوية المنصوص عليها في اتفاقية جنيف الثالثة هي الدليل على هذا الحق، ويمكن للعدو طلبها قبل تقرير وضع المقبوض عليه، إذ تلعب بطاقة مراسلي الحرب دورا مماثلا للدور الذي يلعبه الزي الرسمي للجنود، بمعنى أنها تخلق افتراضا ما. أما ●●●

AFP

مراسلة العربية أطوار بهجت قبل ساعات قليلة من خطفها وقتلها في العام 2006

(*) Knut Dormann مستشار في الشعبة القانونية في اللجنة الدولية للصليب الأحمر– جنيف.

عند الشك في حالة شخص يطالب بوضع أسير الحرب، فيبقى هذا الشخص تحت الحماية التي تكفلها اتفاقية العام 1949 لحين البت في وضعه بواسطة محكمة متخصصة، وفقا للإجراء المنصوص عليه في الفقرة الثانية من المادة الخامسة من الاتفاقية الثالثة. وهكذا، تنطبق على هذا الفريق من الصحافيين كل الحماية المكفولة في اتفاقية جنيف الثالثة ويكملها كل من البروتوكول الإضافي الأول والقانون الدولي العرفي.

أما الصحافيون الآخرون الذين يغطون النزاعات المسلحة فيتمتعون بما يتمتع به المدنيون من حقوق ويلتزمون بما يلتزم به المدنيون من قواعد للسلوك. فإذا أحللنا تعبير «الصحافيون وأفراد أطقمهم» محل كلمة «المدنيون» في أحكام القانون الدولي الإنساني الأخرى، لاتضحت لنا أكثر فكرة الحماية التي يمنحها القانون. ولا يختلف الوضع القانوني لمراسلي الحرب عن غيرهم من الصحافيين إلا إذا وقعوا في أيدي طرف من أطراف النزاع.

وعلى خلاف القواعد السابقة المنطبقة في النزاعات المسلحة الدولية، لم يرد ذكر الصحافيين على وجه الخصوص في أي من المعاهدات المنطبقة على النزاعات المسلحة غير الدولية. غير أن الصحافيين في مثل هذه الأحوال يعدون مدنيين أو أشخاصا لا يشاركون مباشرة – أو كفوا عن المشاركة – في العمليات العدائية.

وتسري عليهم وعلى أطقمهم كل الحماية المنطبقة على هؤلاء المدنيين.

## الصحافيون وخطر العمليات الحربية في النزاعات المسلحة الدولية

الصحافي المكلف بمهمة خطيرة في منطقة من مناطق النزاع هو شخص مدني يتمتع بجميع الحقوق المكفولة للمدنيين بوصفهم هكذا. ويرسخ البروتوكول الأول في مادته رقم 79 هذه القاعدة في النزاعات المسلحة الدولية. وبذلك، لا يفقد الصحافيون وضعهم كمدنيين بدخولهم منطقة نزاع مسلح في مهمة صحافية، حتى لو كانوا مصاحبين للقوات المسلحة أو يتمتعون بدعم لوجستي عسكري.

فالصحافيون محميون مثلهم في ذلك مثل غيرهم من المدنيين، بغض النظر عن جنسياتهم، بشرط ألا يقوموا بأي عمل من شأنه المخاطرة بوضعهم كمدنيين.

ولا يجب بأي حال من الأحوال أن يصبح الصحافيون وأطقمهم، بوصفهم مدنيين، هدفا لهجوم مباشر. وعلى الأطراف في النزاع المسلح واجب اتخاذ جميع الاحتياطات الممكنة لضمان أن توجه الهجمات إلى الأهداف العسكرية فحسب. وعلاوة على ذلك، إذا أدى هجوم متعمد إلى قتل أو إصابة صحافي، ربما شكل ذلك جريمة حرب. (البروتوكول الإضافي الأول والمادة 8 (2) (ب) (9) من نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية).

ويتمتع مراسلو الحرب المعتمدون من السلطات العسكرية بالحماية نفسها التي يتمتع بها الصحافيون غير المعتمدين، كما هو مذكور في اتفاقية جنيف الثالثة، أي أنهم يحتفظون بوضعهم المدني رغم التفويض الخاص الذي يتلقونه من المصادر العسكرية. كما يجب أيضا احترام الصحافيين سواء أكانت لديهم بطاقات هوية للصحافيين المنخرطين في مهام خطيرة أم لا. فالبطاقة شهادة بوضعهم كصحافيين، ولكنها لا تخلق وضعا مدنيا.

ورغم أن الصحافيين وأطقمهم لا يفقدون حقهم في الحماية بوصفهم مدنيين، إلا أنهم (مثل أي شخص آخر غير مقاتل) يتحملون على عاتقهم الشخصي مغبة المخاطرة إذا اقتربوا أكثر مما ينبغي من وحدة عسكرية أو هدف عسكري. فربما تكون الوحدة أو الهدف العسكري عرضة لهجوم مشروع من العدو، وفي هذه الحالة، يُعَد قتل أو إصابة الصحافي أو أحد أفراد طاقمه من بين الآثار الجانبية للهجوم، وهو ما يطلق عليه اسم «الأضرار العرضية». ولا يعد مثل هذا الهجوم غير مشروع إلا إذا كان القتل أو الأذى المتوقع بين المدنيين كبيرا، مقارنة بالفائدة العسكرية المتوقعة من الهجوم (قاعدة التناسب)، (المادة 51 (5) (ب) من البروتوكول الأول).

غير أنه حتى في ظل هذا السيناريو، تظل الهجمات المباشرة ضد الصحافيين وفرقهم محظورة.

ولا يكون الصحافيون محميين ضد الهجمات المتعمدة إذا شاركوا مباشرة في العمليات العدائية وطوال فترة مشاركتهم فيها. أما الأنشطة الاعتيادية للصحافي فتغطيها الحصانة ضد الهجمات المباشرة، فهي لا تعد مشاركة مباشرة في الأعمال العدائية. وبقبول الصحافيين بوصفهم مدنيين، وافقت الدول على تركهم يقومون بعملهم، أي التقاط صور وتصوير أفلام وتسجيل معلومات وتدوين ملاحظات ونقل المعلومات والمواد التي لديهم إلى الجمهور عن طريق وسائل الإعلام. أما إذا تجاوز الصحافيون دورهم والحدود التي تمليها مهنتهم، فهم إنما يخاطرون بالتعرض لتهمة التجسس أو ارتكاب أعمال عدائية أخرى.

## في النزاعات المسلحة غير الدولية

بالرغم من عدم ذكر الصحافيين على نحو محدد في أي من المعاهدات المنطبقة على النزاعات المسلحة غير الدولية، إلا أنهم يعدون مدنيين. (جون–ماري هنكرتس ولويز دوزوالد–بك، القانون الدولي الإنساني العرفي، الجزء الأول، القواعد، مكتبة جامعة كمبريدج، 2005، ص 115–118). ولا يجوز أن يكون السكان أو الأفراد المدنيون هدفا للهجوم، ما لم يقوموا بدور مباشر في الأعمال العدائية، وعلى مدى الوقت الذي يقومون خلاله بهذا الدور.

وعلى هذا يستفيد الصحافيون والفرق العاملة معهم من الحماية الكاملة التي يمنحها القانون للمدنيين، في كل من النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية.

## الصحافيون في قبضة أحد أطراف النزاع المسلح

تعتمد الأحكام القانونية المطبقة، في إطار النزاعات المسلحة الدولية، على الصحفي أو الصحفية والطاقم الذي يعمل معه أو معها عند الوقوع في قبضة أحد أطراف النزاع المسلح على عدة عوامل بما في ذلك الأصل والجنسية.

ويخضع الصحفيون الذين يجري توقيفهم من قبل السلطات التابعين لها للقانون الساري في بلدهم. وقد يحرمون من حرياتهم إذا أجازت تشريعاتهم الوطنية احتجازهم.

والسلطات ملزمة بمراعاة الضمانات والقواعد الخاصة بالاحتجاز المنصوص عليها في تشريعاتها الوطنية أو المكفولة في مختلف أحكام حقوق الإنسان المتضمنة في اتفاقيات تكون دولتهم طرفا فيها.

وخلاف ذلك، يتمتع الصحفيون والأطقم العاملة معهم بالحماية التي تكفلها مجموعة من قواعد القانون الدولي الإنساني للمدنيين والمنصوص عليها في اتفاقية جنيف الرابعة والبروتوكول الإضافي الأول وكذلك في القانون الدولي العرفي. ويحق لهم على وجه الخصوص الحصول على عدد كبير من الضمانات الأساسية. فعلى سبيل المثال، تحظر الأعمال التالية في كل زمان ومكان: الاعتداء على حياة وصحة الأشخاص النفسية والبدنية لاسيما القتل والتعذيب البدني والنفسي والمعاملة القاسية أو اللا إنسانية والعقوبة البدنية والتشويه والاعتداء على الكرامة الشخصية، وعلى الأخص •••

RAMATAN

مصور وكالة «رامتان» زكريا أبو هربيد (الصورة) يهرب من جحيم الانفجار وكان قد أصيب بجروح خلال النزاع بين الإسرائيليين والفلسطينيين في غزة

المعاملة المهينة والحاطّة بالقدْر، العقوبات الجماعية وأخذ الرهائن.

ويعد انتهاك معظم هذه الأحكام جرائم حرب. وينبغي التحقيق في ارتكاب هذه الممارسات ومقاضاة مرتكبيها وفقا لأحكام القانون الدولي والقانون الداخلي ذات الصلة.

ويحق للقوات المسلحة وقوات الأمن الخاصة بالدولة، وفقا لشروط محددة، اعتقال أو احتجاز الأشخاص بمن فيهم المدنيون الموجودون في إحدى مناطق العمليات العسكرية. وفي حال تعرضهم للتوقيف أو الاحتجاز أو الاعتقال بسبب القيام بأعمال تتعلق بالنزاع المسلح، ينبغي إبلاغ الصحفيين المدنيين والأطقم التي تعمل معهم على الفور بالأسباب التي دعت لاتخاذ مثل هذه الإجراءات. ويستثنى من ذلك عمليات التوقيف والاحتجاز بسبب ارتكاب جرائم جنائية وينبغي إطلاق سراح أصحابها في أقصر وقت ممكن وعلى أية حال بمجرد زوال المبررات التي دعت إلى عملية التوقيف أو الاحتجاز أو الاعتقال. ويحق لهم الحصول على ضمانات من أجل محاكمة عادلة في حال احتجازهم لأسباب تتعلق بارتكاب جرائم جنائية.

ويمكن لممثلي اللجنة الدولية للصليب الأحمر زيارة الصحفيين الذين وقعوا في أيدي العدو وتفقد ظروف الاحتجاز الخاصة بهم. كما يحق للمحتجزين الاتصال بذويهم.

وبينما جرى توضيح القواعد المذكورة أعلاه في ما يتعلق بالنزاعات الدولية المسلحة، نجد ثانية أن القانون الدولي الخاص بالنزاعات المسلحة الداخلية أقل وضوحا. ومع ذلك، يوفر الحماية القانونية لجميع الأشخاص الذين لا يشتركون أو لم يعودوا يشاركون بصورة مباشرة في العمليات العدائية. وينص على وجوب معاملة المحتجزين بطريقة إنسانية دون أي تمييز مجحف. وتنطبق عليهم الضمانات الأساسية نفسها المطبقة في حال النزاعات المسلحة الدولية. ومع أن القانون الدولي الإنساني لا يتيح إمكانية اللجوء للقضاء بشكل أكبر بسبب الاحتجاز غير المبرر أو لفترات مفرطة الطول، فإن قانون حقوق الإنسان قد سد هذه الثغرة. ولكن القانون الدولي الإنساني ينص على ضمانات قضائية في حال المحاكمة.

## التقييم

للوهلة الأولى، قد يبدو للبعض أن القانون الدولي الإنساني لا يوفر الكثير من الحماية للصحفيين أو لغيرهم من العاملين في المجال الإعلامي نظرا إلى أن المعاهدات الخاصة بالقانون الدولي الإنساني تشير في موضوعين فقط إلى هؤلاء العاملين (المراسلون الحربيون والصحفيون الذين يباشرون مهام مهنية خطرة في مناطق النزاع المسلح).

إلا أنه عند قراءة هذه الأحكام في سياق أحكام القانون الدولي الإنساني الأخرى، نجد أن الحماية المكفولة بمقتضى القانون الساري تعد حماية شاملة ويتمتع بها الصحفيون الذين يقعون في قبضة أحد أطراف النزاع وخاصة إذا كانوا محتجزين أو في حال إقامة دعوى جنائية ضدهم.

وفي ما يتعلق بالمخاطر التي يتعرض لها العاملون في المجال الإعلامي في ميدان القتال، توفر القواعد الحالية أساسا قويا وواقعيا للحماية على الأقل على الورق. ومن الصعب تصور أن تكون الدول مستعدة لتوفير حماية قانونية أوسع أو أن تكون قادرة فعليا على توفير قدر أكبر من الحماية في ظل أوضاع ملموسة يشهدها ميدان القتال.

ويعد حاليا عدم التنفيذ الحازم للقواعد القائمة وإجراء التحقيقات بطريقة منهجية ومحاكمة مرتكبي الانتهاكات ومعاقبتهم من أخطر وجوه القصور وليس نقص القواعد.

## كيف يمكن تحسين الحماية؟

يمكن تحسين الحماية من خلال تنفيذ القواعد القائمة على نحو أفضل. وتوجد، كما سبق أن رأينا، سبل لتوفير الحماية القانونية الأساسية. إلا أن قواعد القانون الدولي الإنساني لا تلقى غالبا الاحترام الكافي من الناحية العملية. لذا ينبغي أن يكون الهدف الرئيسي الذي ينبغي توخيه هو العمل على تحسين الامتثال لهذه القواعد. ويتطلب ذلك توفير التدريب والتعليمات المناسبة للأشخاص الذين يستوجب عليهم تنفيذها كأفراد القوات المسلحة وقوات الأمن والمجموعات المسلحة الأخرى. ويتطلب الأمر أيضا أن يُساءل كل شخص ينتهك هذه القواعد وأن يخضع للجزاءات إذا ما ثبت اقترافه الجرائم. كل شخص عرضة للمساءلة عن أحكام القانون الدولي الإنساني كما أن كل دولة ملزمة بضمان التعريف بهذه القوانين وكفالة احترامها وإنفاذها ●

مراسل الجزيرة طارق أيوب قُتل في العراق في أبريل/نيسان 2003

AFP

الكاريكاتور: **عبد الرحيم ياسر** [ العراق ]

# العنف التحريضي في الفضاء التليفزيوني العربي

**عرف المشهد السمعي والبصري في الدول العربية تطورًا متسارعًا في السنوات القليلة الماضية تمخضت عنه مئات من المحطات الفضائية والإذاعات على الموجات القصيرة. وبعد أن كانت العملية الإعلامية محصورة في أغلب البلدان بإعلام حكومي مقيّد بخطاب رسمي، ومتخلّف قديم في أحيان عدة، جاءت الفضائيات لتعطي بارقة أمل في نشوء حيّز أكثر انفتاحًا يحاول أن يطفئ ظمأ المشاهدين لهذا النوع من الإعلام. فهل جاءهم الغيث فعلًا مع اتساع الفضاء الإعلامي؟**

AFP

**منذ** بدء عصر الفضاء التلفزيوني في المشهد الإعلامي العربي باللغات الأجنبية أولًا ومن ثم باللغة العربية، تتالت الدراسات والتحليلات التي تعالج جوانبه العديدة. ولقد تطرقت الكتابات إلى مضمون الخطاب الذي حملته هذه الفضائيات وإلى الشكل الذي عبّرت من خلاله عن هذا الخطاب. ومنذ البدء، كان العنف وكانت الحروب هي المحرّك الأول، فكان استقبال شبكة «السي إن إن» متزامنا مع حرب 1991 ضد العراق ونقلها بالصوت وبالصورة لمشاهد الهجوم الأميركي انطلاقًا من دبابات ومصفحات المارينز بحيث كانت الصورة المنقولة أقرب إلى «البروباغندا» الحربية منها إلى التغطية الصحافية من أرض «المعركة». وكان العنف المباشر «جنسًا» إعلاميًا جديدًا بالنسبة للناظرة العرب بعد أن تشبّعوا من عنف متخيل في الأفلام الركيكة التي ملأت شاشاتهم الفضية وصالاتهم السينمائية قبل ولوج الفضائيات إلى مخادعهم. ولكن هل تصوير العنف والقيام بنقله على الهواء مباشرة هو تحريضٌ مباشرٌ على العنف وتأجيج محتمل لنار الصراعات التي لم تتوقف في المنطقة العربية منذ نشوء دولها؟

## العنف في بث حي

لقد حملت السنوات القليلة الماضية كمًا هائلًا من الحروب ومن الأعمال العنيفة التي وسمت أحيانًا بالإرهاب وأحيانًا بالتمردات وذلك بحسب القائمين على تعريفها وبحسب المستفيدين منها أو ضحاياها. وعملت الفضائيات خلال هذه الحقبة على الاعتماد بشكل كبير على تغطيتها والاهتمام بمنعكساتها. وأبرز المحطات الزمنية في هذه الفترة، حرب إسرائيل على لبنان في أبريل/نيسان من العام 1996، وحرب ما يسمى بقوات التحالف على العراق في سنة 2003 وامتداداتها، وحرب اسرائيل المتجددة على لبنان في يوليو/تموز 2006. وقد كان تقديم أحداث هذه الحروب «متميّزًا» من طرف المحطات الإخبارية الرئيسية «المتصارعة» والتي استطاعت أن تحجز لنفسها مكانًا متقدمًا في إطار «الصراع» الإعلامي على المنطقة العربية. ولم تستطع هذه الفضائيات التخلي عن ثقافة موروثة من العمل التلفزيوني الرسمي على الرغم من تنطحها إلى تمييز نفسها عنه في المحتوى وفي الشكل. بل إنها إضافة إلى ذلك، أضفت عليه شيئًا من العبثية العنفية في تصوّر الحصول على العدد الأكبر والمتزايد دومًا من المشاهدين. وكما أنه لا يجوز التعميم في مظهر غير قابل للقياس بدقة، فلا بد من الإشارة إلى أن الحرفية ازدادت مع التجربة وانتقلت العبثية العنفية من الصورة إلى الكلمة. ومن غير المحبّذ في لغة الإعلام نفي إمكانية تغطية الأحداث مهما عنفت عن الوسائل الإعلامية باختلاف أنواعها. ومن ضرورة العمل الإعلامي أن ينقل صورة حقيقية عمّا يجري في المحيط المعني به المشاهد المستهدف. فما المشكلة إذًا في نقل صور الجثث والضحايا من أرض المعركة بصورة أقرب من البث الحي؟ وما هو الأذى المتأتي من بث مقاطع صورها إرهابيون لتشنيعهم بضحاياهم المختطفين بما أنها وثيقة إعلامية تجذب أعدادًا هائلة من المشاهدين؟

الجواب على هذه التساؤلات الجزئية لايمكن أن يكون حاسمًا لأن القضية حمّالة أوجه وتفسيرات وتتعرّض لاجتهادات مدارس إعلامية يختلط فيها الأخلاقي بالنفعي وبالأيديولوجي. ولكن من نافل القول أن جميع الفضائيات المعنيّة تذكّر مشاهديها بقساوة ما سيطلعون عليه، وبالتالي، فهي تنبه من هم «حساسون» وكذلك من هم دون سن الوعي لينأوا بنفسهم عن ما ستبثّه. هي تقوم إذًا بعملية انعتاق من تحمّل أية مسؤولية مهما كبرت أو صغرت نتاج هذا «النشاط» الإعلامي.

سلام الكواكبي*

## تشكيل «لا وعي» جديد

ومهما استطعنا أن نحيّد الاجتهادات في رفض أو قبول ما يمكن أن يعتبر تحريضًا أو تأجيجًا لصراع ما، فالأساسي في الموضوع برأيي هو الخطاب الموجّه والمرافق للعنف المصوّر. فما يعتري الكثير من الفضائيات العربية، ولا أحصر الموضوع بها إلا لكونها موضع هذا الحديث، هو الخلط بين البحث عن أنواع المحرّضات، فيبدو أحيانًا أنها تنطلق من منطلق تجاري بحت، ولكنها لا تريد أن تكتفي بذلك، فتُلبسه لبوس الأيديولوجيا الجاذبة أيضًا للنفوس وبالتالي، للفلوس. وأعتقد بأن المشاهد المحرّضة على العنف يمكن أن تكون بعيدة كل البعد عن الدماء وعن الأشلاء وما إلى ذلك من عبثية عنفية مباشرة. إنها أخطر عندما تكون مغلّفة في إطار برامج بعيدة نظريا عن معالجة أمور الحرب والسلم وعن متابعة قضايا «الأمة» المصيرية. فيكفي أن نشاهد، وبالأحرى، أن نستمع إلى ما يصاحب بعض المشاهد من عبارات أحيانًا، وفي كثير من الأحيان، العبارات التي لا تصحبها مشاهد ما. وحتى ما يسمى اعتباطًا بالبرامج الحوارية في بعض الفضائيات يحمل جرعات عنف وتحريض لها طابع أعمق تأثيرًا مما هو مباشر. فالعنف «المبشّر» به من خلالها يلعب على أوتارٍ مشدودة أصلًا مما يؤدي ●●●

(*) باحث سوري في العلوم السياسية

إلى سهولة انقطاعها وما يحمله هذا الانقطاع من التباسات ذهنية لدى المشاهد العربي. دفاع المواجهة لدى أصحاب هذا «العنف اللفظي» يتهكم من سذاجة التحليل والتحذير معتمدًا خطاب «الديمقراطية» و«الحرية» ووعي المشاهدين وحاجتهم لمثل هذه «الحوارات». إنه كلام حقٍّ يُراد به أحيانًا الباطل. هل هذه الحال التي وصل إليها المشاهد «الضحية» تستوجب من الفضائيات المبشّرة بالحرية وحاملة الرسالة الإعلامية الجديدة المنعتقة من كل قيد ورقيب أن تستخف بالمعنى الحقيقي لحرية الاتصال والتوصيل؟ إنها، ومن خلال «استعباط» الباحث المحلل واستغفال المشاهد العادي، تسعى بكل وضوح وسابق إصرار وتصميم إلى خلق «لا وعي» جديد على ساحة مرئية يعاني الوعي فيها

> ليس مطلوبًا من المراسل الحربي أن يكون حامل رسالة إنسانية. المطلوب منه أن يقوم بعمله باحترام الضوابط الأخلاقية لهذه المهنة.

ومنها. فمع ما بات يعرف بعصر الانفتاح الإعلامي، جاءت الفضائيات الإخبارية «الحرّة» بأموال ليست بأقل نقلًا لأفكار شمولية أو ذات مصالح محددة (سياسية أو اقتصادية وأخرى). فعلى الرغم من أنها أنشئت بأموال شبه خاصة، حيث يظلّ التمييز في المنطقة بين الخاص والعام متداخلا، فهي تسعى إلى نشر وترسيخ خطاب ليس بكثير الاختلاف عن سابقاتها الرسمية إلا في الشكل وفي الصيغة. وبالطبع، أعود لأكرر بأن التعميم مكروه في حديثنا هذا، وأن هناك الكثير من الإيجابيات التي حملها الفضاء الإخباري العربي الجديد، وهي تتمحور على الأقل في محاولته الناجحة لاستعادة ثقة ملايين المتابعين لمواضيع الشأن العام. وقد طوّر بشكل كبير العمل الإعلامي شكلًا، وبشكل أكثر تواضعًا في المضمون.

### الالتزام بأخلاقيات العمل الصحافي

إن تغطية الحروب والنزاعات ضرورة إنسانية لتحسيس البشرية بأبعادها وبنتائجها. وهذه التغطية مهما حملت من صور ومن عنفٍ بصري تظلّ محمودة العواقب إن أُرفقت بتعليق أقل بحثًا عن جذب مجاني لأكبر عدد من المشاهدين من جهة، أو أن يكون أقل محاولةً لتسخير أيديولوجية عنفية انتقامية تحريضية من جهة أخرى. أما في الحوارات أو التغطيات البرامجية بعيدًا عن الخبر المباشر، فالخطورة تبدو أشدّ، وأقرب مثال هو ما عاشته الساحة الإعلامية اللبنانية إبان صدامات شهر مايو/أيار الماضي، حيث استحوذ الخطاب العنيف للأطراف المختلفة على وسائل الإعلام التابعة لها، مساهمًا بحقن العواطف وحشد الجماهير بعيدًا عن الحوار البناء.

يعتبر عمل المراسلين الحربيين من أهمّ وأخطر الأعمال الإعلامية وليس مطلوبًا منه أن يكون حامل رسالةٍ إنسانية أو جمعية خيرية. المطلوب منه أن يقوم بعمله باحترام الضوابط الدونتولوجية لهذه المهنة. ولكن استخدام مراسلاته هو الأهم من خلال اختيار الزمن والتعليق وما يصاحبها من حوارات ترسّخ في ذهن المشاهدين الأقل وعيًا صورًا وأحكاما يستطيع المراسل أن يؤثر عليها.

وبالمحصّلة، يجدر التنويه بأن ما سبق ليس بعلامة مسجلة للفضائيات العربية وإنما تم التركيز عليها لأنها موضوع هذا التعليق، وهي بمحاولتها تقليد «شقيقاتها» الإخبارية العالمية، تدّعي لنفسها السبق في كسر محرّماتٍ سياسية في منطقة متعطشة للخبر. وهي، وإن فعلت ذلك عمليًا، فلم تنجح برأيي حتى الآن بالمساهمة في إعادة صنع رأي عام واعٍ. وما ينتظرها في المستقبلِ القريب، هو محاولة المراجعة الذاتية بعيدًا عن التكابر غير المجدي، والادّعاء المتواصل بأنها حطمت المحظور السياسي. وعلى الرغم من أن هذه المراجعة مستبعدة في المنظور القريب لما لهذه الفضائيات من مرجعيات سياسية واقتصادية ودينية، ولكنها تبقى المخرج الوحيد لها من حقل العنف والتحريض المجانيين واللذين ليس لهما أية رسالة إعلامية واضحة، حتى الآن على الأقل.

إن الوسائل الحربية متعددة، وكذا الوسائل السلمية، وصعوبة الاختيار بين استخدام إحداها مرتبط بالدرجة الأولى بالوعي البشري، إن وجد ●



# هكذا يحمل الصحافي حياته على كفّه

**العراق البلد الأخطر بالنسبة للعمل الصحفي وما يؤيد هذا الكلام عدد الضحايا من الصحفيين الذي وصل إلى العشرات منذ دخول القوات الأمريكية العراق وإلى الآن. وفي ما يلي شهادة لصحافي عراقي أفلت من براثن موت محقق مرات عدة.**

مُصوّر لبناني يسجّل آثار القصف الإسرائيلي على الضاحية الجنوبية في يوليو/تموز 2006

AFP

**إذا** كان كل مسلح في العراق يحمل أجندة وأيدلوجية تختلف عن الآخر إلا أنهم جميعهم يتفقون على جعل الصحافيين والمصورين هدفا لنيرانهم أو لعصابات الخطف. وكل ذلك يصب في مصلحة إخفاء الحقيقة وقتل أهلها حتى لا يعلم العالم حجم المعاناة والدمار الذي حدث في العراق جراء العمليات المسلحة خاصة.

فمن يعمل مع وكالات أو قنوات أجنبية مثلا تجد من يطلق عليه صفة «عميل» ويشرّع قتله واستباحة دمه. ومثال على ذلك ما حدث للصحافية العراقية أطوار بهجت التي دفعت حياتها وشبابها ثمنا لهذه الحقيقة.

وأنا كنت ممن كاد أن يدفع روحه ثمنا والالتحاق بركب شهداء الصحافة بالعراق لسبب بسيط هو أنني كنت أعمل مع وكالة أجنبية. ففي العام 2004 كنت وزميلان لي في الوكالة متوجهين إلى مدينة الحلة جنوب بغداد وكانت منطقة اللطيفية ما زالت تسمى بمثلث الموت مما اضطرنا لقطع الطريق الدولي ونزلنا منه باتجاه الحلة عن طريق زراعي بمنطقة تسمى «الوردية». وهناك وجدنا نقطة تفتيش قبل دخول الحلة فأنزلونا من السيارة مدعين التفتيش ثم أدخلونا إلى غرفة صغيرة مهجورة عند نقطة التفتيش كانت عبارة عن مضخة ماء لسقي الزرع. فسئلنا بعد تفتيش السيارة وقد شاهدوا معنا معدات التصوير، «من أين أنتم؟» قلنا نحن صحفيون عراقيون نعمل مع قنوات عربية فأعادوا السؤال لمرات عدة. وأخبرنا محتجزنا أنه سيبيع كل واحد منا بثمانين ألف دولار أو كما يقال في العراق «**كل واحد منكم بثمانية دفاتر**»، والدفتر في العراق 10 آلاف دولار.

كان هذا اليوم هو ذكرى مرور أسبوع على تفجيرات الحلة الإجرامية التي طالت المدنيين وأحد المسؤولين السياسيين يزور ضحايا التفجير ونحن نرغب بتغطية الحدث. لكننا بالطبع لا نستطيع البوح بهذه المعلومات مخافة القتل. على كل حال بدأت القوات الأمنية تنتشر بالمنطقة وأعتقد أن المسلحين الذين أوقفونا لم يكونوا يملكون الوسيلة لنقلنا إلى مكان آخر فطلبوا منا المغادرة بأسرع وقت بعد تفتيشنا. وقد تمكنا من الوصول إلى الحلة وتغطية الحدث في نهايته. أطلعنا مسؤول الإعلام بالحلة عما حدث لنا فعرض أن يرافقنا للعودة إلى بغداد من

إبراهيم سلامة*

طريق آخر. وهو ما حدث فقد أخذنا طريق اللطيفية وعند وصوله إلى مكان سكنه في منطقة المحاويل تركنا وأكملنا الرحلة لوحدنا. غير أن السائق لاحظ وجود سيارة تتبعنا فقررنا الهرب منها بالدخول في طريق زراعي حتى وصلنا إلى الطريق الدولية والوصول إلى بغداد بعد خمس ساعات، مع العلم أن الطريق بين الحلة وبغداد لا يتعدى في العادة الساعة ونصفا.

في مرة أخرى، وبينما كنت أغطي أحداث مدينة الصدر بعد أحداث النجف، وعند وصولي وزميلين إلى مكتب الشهيد الصدر فوجئنا بأربع سيارات نوع «أوبل» و«بي أم دبليو» تطوقنا. تمت مصادرة المعدات التي بحوزتنا من قبل المسلحين وسئلنا أيضا عن الجهة التي نعمل لحسابها فقلنا لإننا نعمل مع قنوات عراقية ونعرف الكثير من أهل المدينة خاصة بعض رجال الدين فاقتنعوا بكلامنا وسمحوا لنا بالمغادرة.

وفي مرة أخرى وبينما كنت وزميل وزميلة لي نحضر تقريرا تلفزيونيا عن شناشيل بغداد** وأثناء تواجدنا صباحا في منطقة المربعة وسط بغداد بالقرب من جسر ألسنك والشوارع خالية من المارة، ثبتنا الكاميرا على قاعدتها وبدأنا تصوير الشوارع البغدادية القديمة وإذا بنا نسمع صوتا مدويا يقول «**قفوا.. لا تتحركوا.. اتركوا التصوير وقفوا بعيدا عن الكاميرات**».

كانوا ثلاثة شبان يحملون مسدسات فطلبت من زميلي وزميلتي، وهي مراسلة لإحدى القنوات الأجنبية، ألا يتكلما ولا يستفزاهم. وعندما اقترب مني أحد المسلحين أحسست انه متعاطي مخدرات أو شيء من هذا القبيل فما كان مني إلا أن قلت له: «**يا أخي خذ الكاميرا ولكنك بالتأكيد تحب العراق**» قال «**نعم أكيد**» قلت: «**إذا لماذا تريد أن تمنعنا من توثيق جمال بغداد؟ المفروض أن تكون أنت والشباب معك سندًا لنا بينما أنت الآن أرعبت هذه السيدة (وأقصد زميلتي) التي جازفت بحياتها حتى تري العالم جمال بغداد**». وبعد شد وجذب اقتنع بعملنا بشرط أن يتكلم هو ونشيد به فوافقنا وانتهى الأمر بحمد الله من دون خسائر.

كثيرة هي القصص التي واجهتني وتواجه زملائي الصحافيين يوميا مما اضطر الكثيرين منا إلى مغادرة العراق بحثا عن الأمن والأمان حتى لا ندفع الثمن حياتنا كما حصل لصديقي وزميلي زيد وسيف اللذين استشهدا على يد مسلحين ملثمين ورصاصات مجهولة ثكلت عائلتيهما. فشرف المهنة ثمنه دائما أرواح أبنائها البريئة ●

(*) صحفي عراقي

(**) الشنشول (أو المشربية) نوافذ مغطاة بستائر خشبية تحجب الرؤية من الخارج.

# إعلام الحروب وحروب الإعلام

## عندما يتحول الصحافي إلى جندي في المعركة

**لطالما حظيت الحرب بمن يقدسها، ويحتفي بها، أما السلام فحل، غالبًا، كلعنة على من روّج له وآمن به، ليجلب عليه اتهامات بـ «العمالة» أو «الخيانة». وفيما تقترن الدعوة إلى الحرب بدعاوى الفخار الوطني أو القومي أو الديني، ويُقدم عرابوها على أنهم «أبطال» و«أبرار»، تقترن دعوات السلم باتهامات بـ «الانهزامية» و«الخضوع»، ويوصم بعض صانعيه بـ«العار». هذا ما يحدث عادة؛ فالحرب «تولد في عقول الرجال». كيف ذلك؟ تلك صناعة الإعلام ولعبته الدائمة.**

REUTERS

في شهر مايو/ أيار 2008، وفي خضم الصرّاع الدائر بين الفرقاء اللبنانيين، استهدف مسلحو أحد الأطراف وسائل إعلام طرف آخر بالاقتحام والإغلاق والتدمير، فيما اعتبر خطًا أحمر تم تجاوزه حيال وسائل الإعلام المفترض أن تنعم بالحرية والحماية لتؤدي واجبها على الوجه الأكمل في كل الظروف وحتى في أوقات الخطر. والواقع أن الخطوط الحمر كان قد تم تجاوزها قبل ذلك بكثير من قبل وسائل الإعلام اللبنانية نفسها؛ إذ تحولت تلك الوسائل أدوات مباشرة في صراع سياسي وعسكري ذي أوجه متعددة ومستويات مختلفة، وانخرطت في أعمال من الدعاية المباشرة والتخندق والتحزب، واعتمدت لغات التخوين والتحقير والشتائم، واستخدمت تكنيكات الحشد، والتعليب الفكري، وزرع الخوف، حتى صارت إحدى وسائل القتال في زمن السلم والحرب في آن.

يقول هتلر في كتابه «كفاحي»: «إن دور حاجز النار الذي تنفذه المدفعية، ستقوم به في المستقبل الدعاية الثورية، التي ستعمل على التحطيم المعنوي للخصم قبل أن تبدأ الجيوش عملها»، وقد تحقق فعلًا ما قاله هتلر؛ وباتت وسائل الإعلام، في أحيان كثيرة، وسائل عسكرية وأعمال حرب بامتياز.

### الأطر الثلاثة

ثلاثة أطر ينطلق منها الإعلام في ممارسته غير المهنية خلال أعمال الحرب أو قبلها وبعدها؛ فيساعد، عن عمد أو غير عمد، على تهيئة الأوضاع للنزاع وربما إشعاله والتعجيل بوقوعه فضلًا عن تأجيجه وزيادة حدته.

- **الإطار الأول إطار القضايا Issue Frame**؛ إذ يسلط الإعلام الضوء على قضايا بعينها ويحجبه عن قضايا أخرى. يركز الإعلام على الإشارات العدوانية والخطوات التحضيرية التي يتخذها الخصم، ويغض النظر عن الإشارات التفاوضية والسلمية، ويجتهد في تعظيم الصور السلبية والطبيعة الصارمة للخصم في مقابل إخفاء الصور الإيجابية والطبيعة الإنسانية لأنشطته وعملياته. يعطي الإعلام الانطباعات اللازمة كلها لتصوير أن «الحرب خيار حتمي»، ويقود الجمهور ببساطة إلى ترجيح هذا الخيار، قبل أن تتكشف الحقائق لاحقًا بعدما تظهر القضايا المخبأة والمؤجل الإعلان عنها.
- **الإطار الثاني إطار الصورة Image Frame**؛ إذ يصنع الإعلام صورة ذهنية واضحة للخصم/العدو، تقدمه للجمهور على أنه قوي؛ إذ ليس شرفًا أن تهزم خصمًا ضعيفًا فضلًا عن أن تنازله، وغير أخلاقي وغير إنساني بالمرة؛ إذ يجب أن يكون متدنيًا أخلاقيًا حتى تبرز الذرائع الأخلاقية اللازمة لتدميره. وتختلف الصورة الذهنية التي يروج لها الإعلام عن الخصم، في بعض تفصيلاتها، باختلاف سلم القيم السائدة في المجتمع؛ فإذا كان الإعلام يستهدف جمهورًا محافظًا، فالعدو يمكن أن يكون «منحلًا»، وإذا كان يستهدف جمهورًا منفتحًا، فالعدو بالضرورة «متزمت ورجعي»، وهكذا تلعب الصورة الذهنية لعبتها في حشد الكراهية والاحتقار والاستهداف لدى الجمهور حيال العدو المفترض.
- **الإطار الثالث إطار التأويل Strategy Frame**؛ إذ تصاغ الأحداث بتأويل مغلوط مقصود بغرض حرف اتجاهات الجمهور حيال القضايا المتنازع عليها، ومواقف الخصوم، وتوجهات الحلفاء. وفي هذا الإطار تصاغ عملية احتلال دولة أخرى على أنها «تدخل دولي إنساني»، وتوصف الثورة بأنها «انقلاب»، وكذلك الانقلاب قد يوصف بأنه «عملية تحرر». وتنسب الصفات والأدوار بحسب المواقف والحالات المحددة التي يستهدف القائمون على الإعلام فيها الإضرار بطرف أو رفع قدره لدى الجمهور المستهدف.

### الوسائل العشر

لكي تفلح الأطر الثلاثة التي ينطلق منها الإعلام غير المهني في سياساته المشجعة على



الحرب والمنخرطة فيها بشكل أو بآخر، فإنه يستخدم عشر وسائل تتنافى تمامًا مع الاعتبارات المهنية والأخلاقية الواجب احترامها والتزامها في الأوقات العادية فضلًا عن أوقات النزاع والخطر.

ويتصدر تلك الوسائل الانحياز الكامل لطرف على حساب طرف آخر Bias by Commission، بما يستتبعه هذا من إغفال للمعلومات والحقائق أو اختلاقها بغرض تعزيز موقف الحليف والإضرار بمواقف الخصوم.

وفي المرتبة الثانية هناك الحذف الاختياري Selective Omission؛ إذ ينتقي الإعلام معلومات ومواقف وسياسات بعينها يسعى إلى عرضها، فيما ينتقي معلومات أخرى محددة ويحذفها ويتغاضى تمامًا عنها، بشكل يضمن له تحقيق أغراضه في مساندة طرف والإضرار بموقف طرف آخر.

ثم يأتي تشويه الحقائق Distortion of Facts؛ كوسيلة يستخدمها الإعلام في التدليس والكذب المباشر خصوصًا عند ذكر عدد القتلى والجرحى، أو استعراض الخطوات التي أدت إلى موقف أو نتيجة ما، أو اختلاق واقعة مزيفة تمامًا والترويج لها (كواقعة فلاح استطاع إسقاط طائرة مروحية ببندقية بدائية، أو جنود يتحرشون جنسيًا بقرويات، أو نسب أقوال لزعيم سياسي يهين مقدسات خصومه الدينية، وغيرها).

في المرتبة الرابعة هناك التنميط Labeling؛ القائم على نسب الصفات والأدوار المحددة للأعداء والحلفاء؛ فالأعداء «أشرار» «جبناء» «غير أخلاقيين»، فيما الحلفاء «أبرار» «شجعان» «مثاليون»، ومن ذلك أن هؤلاء «إرهابيون»، فيما أولئك «مقاومون»، وكذلك فإن هذا «شهيد»، لكن ذاك ليس سوى «قتيل». يلعب الإعلام هذه اللعبة في الأوقات كلها، لكنه يدمنها خصوصًا، ويبدع في استخدامها في أوقات الحروب، وكثيرًا ما تتغير مواقف وسائل إعلام بعينها في خضم تطور النزاعات ومواكبة السياسات والمواقف لذلك التطور، فيغدو من كان «شهيدًا» في نشرة الأمس «قتيلًا» في نشرة اليوم، ومن كان «محارباً» في العدد الفائت «مدنيًا» تحق مسالمته والحفاظ على حياته وممتلكاته في العدد المقبل. ويبرز التنميط واحدًا من أكثر الوسائل وضوحًا على التسخين الذي تقوم به وسائل الإعلام في أوقات النزاعات خصوصًا، ولعل أبرز مثل على هذا التنميط ما كتبته إحدى القنوات الفضائية في شريط الأخبار المصاحب للتقارير والنشرات News Bar وقت احتدام النزاع بين حركة المقاومة الإسلامية (حماس) ومنظمة التحرير الفلسطينية (فتح) في فلسطين؛ إذ ذكرت القناة في خبر من الأراضي الفلسطينية ما يلي: «استشهاد ثلاثة فلسطينيين بقصف إسرائيلي ومقتل اثنين باشتباكات بين فتح وحماس».

ويحل خامسًا الانخراط Sharing؛ إذ ينخرط الصحافي بالكامل في النزاع، لتظهر ظاهرة «الصحافي الجندي»، الذي يكاد يحارب بدلًا من نقل الحقائق والأخبار. وعن ذلك يقول كلايف مايري مراسل هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي)، الذي رافق القوات الأميركية والبريطانية أثناء تغطيته الحرب على العراق إن تلك القوات «ألزمت المراسلين الصحافيين ارتداء الزي العسكري، وأن الصحافيين كانوا يعيشون مع الجنود ويأكلون معهم، حيث نشأت صداقات فيما بينهم». ويذهب كذلك الإعلامي الشهير بيتر أرنت صاحب التجربة المهمة في تغطية حرب العراق إلى أن الحكومة الأميركية «مارست ضغوطًا على وسائل الإعلام الأميركية، وحاولت التأثير عليها، حيث فرضت على الصحافيين المشاركة في الصفوف الأمامية للمعركة، والخضوع لتدريبات عسكرية على استخدام السلاح، وهو أمر يخل طبعًا بقدرتهم على نقل الأحداث بدقة وموضوعية».

ياسر عبد العزيز*

(*) خبير ومستشار إعلامي مصري

REUTERS

المُصوّر الفلسطيني «فضل شناعة» في صورة أخيرة له قبل مقتله

وتأتي وسائل «البساطة أو التبسيط»، و«الإلحاح بالتكرار»، و«تجاهل الخلفية»، و«إهمال السياق»، و«اللعب على عواطف الجمهور»، لتكمل الوسائل العشر التي لا يمل الإعلام من استخدامها لحرف الجمهور وحشده وراء الحروب.

### المواثيق المهنية

تزيد درجة الاعتماد على وسائل الإعلام في أوقات محددة ثلاثة؛ أولها وقت الغموض، وثانيها وقت الخطر، وثالثها عند بناء السياسة واتخاذ القرارات. والأوقات الثلاثة كما يظهر تتجسد واضحة في "وقت الحرب والنزاعات ذات التداعيات الخطيرة والتطورات المتلاحقة". والمغزى أن دور الإعلام الأهم يبرز في ذلك الوقت بالذات، ومن ثم فإن مدى التزامه القواعد المهنية والأخلاقية المنظمة لتلك المهنة وهذه الصناعة في أوقات الحروب يصبح أكثر أهمية مما سواه.

والواقع أن أوقات الحروب بالذات تعرف أقصى درجات التسرع والتهور والخطل على مستوى الأفراد والمؤسسات، وهي أوقات للفرز المتسرع وأحيانًا الأعمى؛ إذ تتخذ القرارات المصيرية التي تتعلق بالحياة والموت في دقائق وربما ثواني، وهنا تتعاظم التحديات الملقاة على عاتق الإعلام.

لا يملك الإعلاميون، أصحاب المصلحة الكبيرة في استمرار تلك الصناعة وازدهارها، سوى أن يجتهدوا في وضع مدونات السلوك اللازمة لحماية الجمهور من أخطاء تلك الصناعة وتربص الفاعلين السياسيين وأصحاب المصالح بها في كل الأوقات وأوقات الحروب خاصة. كما أن عليهم أن يضعوا القواعد المهنية والأخلاقية اللازمة لتقنين ممارستهم لمهنتهم في أوقات الحروب والنزاعات والمخاطر الجمة؛ وهو الأمر الذي سيساعدهم على الابتعاد بمهنتهم من خندق "الدعاية" كوسيلة رخيصة للتأثير في الناس وغسل أدمغتهم، ليعملوا على تكريس القواعد والأسس التي قامت عليها مهنتهم... الإعلام؛ كحق أصيل للجمهور في معرفة صادقة ودقيقة ومحايدة وموضوعية ومحيطة وشاملة بما يدور حوله ويؤثر في حياته ومصالحه واهتماماته ●

خالد منصور*

## الإعلام في خضم الصراعات

# نزاعات وإذاعات

**لعبت بعض قنوات الإعلام لا سيما الإذاعية منها دورا مهمًا في الحشد والتعبئة من أجل تأجيج النزاعات في العقدين الماضيين ليس فقط بسبب الانتقائية الأيديولوجية للمعلومات التي يتم نقلها للمتلقين، ولكن، وهذا هو الأكثر أهمية، لكونها تؤطر الصراع وتخلق المبررات الأخلاقية المدعاة والوقائع التاريخية المزيفة التي تدعم استمرار العنف.**

في خضم النزاعات تتحول وسائل الإعلام إلى أبواق دعاية فجة مثل الصحف التي ما زالت تسيطر الدولة (أو القطاع الخاص) على سياستها التحريرية ومحتوياتها أو أنها تصبح طرفًا في الصراع ذاته تعجز معه عن مفارقة التحيزات الخاصة لتعبر عن وجهة طرف واحد فقط دون الآخرين. وبالطبع تظل وسائل الإعلام قابلة للاستعمال في كشف جذور الصراع وفضح المنتفعين به وخدمة المصالح الحقيقية لسواد الناس ونشر ثقافة التسامح والسلام وتقديم خدمات حيوية للمتلقين.

### من القطبية إلى العرقية والقبلية

صارت الصراعات ذات الثوب العرقي أو العنصري أكثر انتشارا في العالم وخاصة داخل الدول التي تفككت في أوائل القرن الحادي والعشرين. ومنذ انهيار الاتحاد السوفيتي فإن تسعة من كل عشرة صراعات مسلحة هي داخل الدول وتنشأ بسبب نزاعات على الموارد الطبيعية أو الأراضي ولكنها ترتدي أثوابا عرقية أو ثقافية أو دينية.

وقد لعبت أجهزة الإعلام دورًا مهمًا في الصراعات منذ الحرب العالمية الثانية عندما توسع استغلال ألمانيا النازية لهذه الوسيلة عن طريق الأفلام والإذاعة ناشرة رموزها وأساطيرها عن تفوق الجنس الآري على كل ما عداه نازعة الإنسانية وحق الحياة عن الآخر. وبعد الحرب العالمية الثانية صار استغلال أجهزة الإعلام في أغلبه موزعًا بين المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة من أجل نشر ما وصف بالديمقراطية وثقافة حقوق الإنسان وحرية الاقتصاد من ناحية والمعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفيتي وسيطرته الشاملة على أجهزة الإعلام من أجل منع أي تشكيك في قدرات وإنجازات الاشتراكية من أجل البشرية من ناحية أخرى.

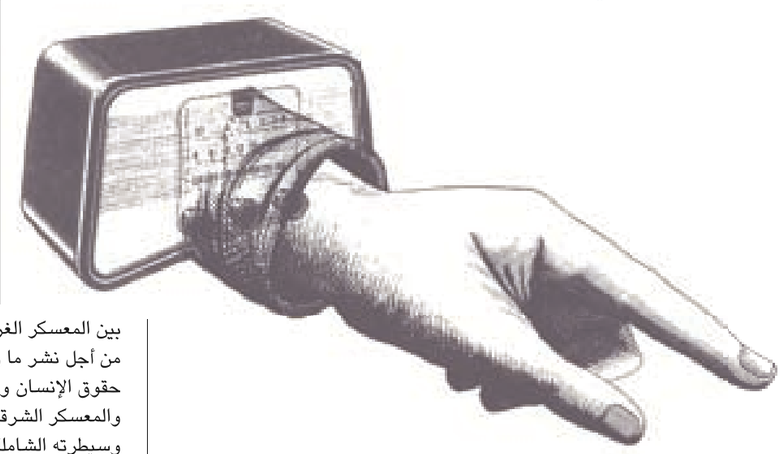

كان الهدف الرئيسي هو التأثير من هذا الجانب أو ذلك على الرأي العام وعلى توجهات ومعتقدات المتلقين وبالتالي على سلوكهم نحو الاتجاه المرغوب فيه (سواء كان ذلك تمردا على الحكم الشمولي الشيوعي أو مزيدًا من الإيمان به ومقاومة الإمبريالية والكولونيالية). كان الصراع بصورة أو بأخرى بين بناءين أيديولوجيين ضخمين يلونان معه صراعات

(*) كاتب مصري يعمل حاليا مديرا للإعلام بإحدى بعثات الأمم المتحدة والمقال يعبر عن وجهة نظره الخاصة



## أمثلة لإذاعات تابعة للأمم المتحدة

### إذاعة أوكابي

**لم تكن هناك إذاعة قائمة يمكن الاعتماد عليها في الكونغو ولذا قامت الأمم المتحدة بإنشاء راديو أوكابي Okapi في العام 2002 بالاشتراك مع مؤسسة «إيروندیل» السويسرية وفقا لتفويض من مجلس الأمن نص على تسهيل «الحوار الوطني». وبث الراديو برنامجه بخمس لغات وكان يصل إلى قرابة سبعين في المائة من سكان البلاد. وبالإضافة إلى الأخبار والبرامج المعلوماتية بثت إذاعة أوكابي برنامجًا حواريا يوميًا يشارك فيه مواطنون من أطراف الصراع المختلفة. ووفقا لقسم عمليات حفظ السلام في الأمم المتحدة أرست هذه الإذاعة معايير جديدة للحرفية والنزاهة والاستقلال في الوسط الإعلامي في الكونغو.**

**والتحدي الماثل أمام أوكابي الآن في مرحلة ما بعد الصراع هو كيف يمكن لها أن تستمر دون دعم الجهات المانحة سواء كان ذلك عن طريق التحول إلى مشروع تجاري يعتمد على الإعلانات أو التحول إلى محطة إذاعة عامة يتم تمويلها جزئيًا أو كليًا عن طريق تحصيل نسبة على فواتير الكهرباء أو من ميزانية الدولة مباشرة.**

### إذاعة مرايا

**تبث إذاعة مرايا التابعة للأمم المتحدة في السودان التي تأسست في العام 2006 ليلًا ونهارًا دون انقطاع ولكن بثها يقتصر على جنوب السودان على موجات «إف إم» حيث لم يتم بعد التوصل إلى اتفاق مع الحكومة حول البث في الشمال. ولكنها أيضًا تبث على الموجة القصيرة ثلاث ساعات يوميًا. وتقدم الإذاعة برامج إخبارية وتعليمية وحوارية وموسيقى باللغة العربية والعامية والإنكليزية. وتأسست «مرايا» في شراكة بين الأمم المتحدة وبين مؤسسة «إيروندیل» السويسرية وقامت بتدريب 120 صحفيًا ثم اختارت نحو نصفهم للعمل في الإذاعة. وبعد أقل من عامين من بداية البث صارت المحطة تصل لأكثر من نصف مستمعي الإذاعة في جنوب السودان.**

### إذاعة أونوكي ONUCI

**تغطي هذه الإذاعة التابعة للأمم المتحدة نصف مساحة ساحل العاج وهي إحدى أهم أربع إذاعات في العاصمة أبيدجان. وكانت بداية الإذاعة عندما لاحظ الأمين العام السابق للأمم المتحدة كوفي أنان الطبيعة التحريضية لبعض وسائل الإعلام في ساحل العاج ثم فوض مجلس الأمن بعثة الأمم المتحدة هناك بحق مراقبة الإعلام وتقديم تقارير دورية للجنة عقوبات مما برر إنشاء محطة إذاعة كتدخل إيجابي.**

**وتركز المحطة على أخبار عملية السلام وتشجع على المشاركة فيها وتقدم بديلًا للبروباغندا التي كانت سائدة فتعمل على بناء الثقة في الوجود الدولي وإمكانية توطيد السلام. وتمارس الإذاعة عملها مع اتحاد للصحفيين المحليين.**

**منذ بدأ إنشاء إذاعات تابعة للأمم المتحدة قامت أيضًا محطات في تيمورليست وكمبوديا والبوسنة بينما عملت وحدات من الإذاعيين التابعين للأمم المتحدة في صناعة مواد إذاعية لبثها على الشبكات القائمة في عديد من الدول. ويستثنى هذا عشرات المحطات الإذاعية التابعة لمنظمات أهلية محلية ودولية أو مجتمعية التي تبثها إرساليات كنسية أو منظمات محلية صغيرة في قرى أو تجمعات محلية.**

التابعين لهم في أفريقيا وآسيا.

ورغم العلاقات الواضحة لمعظم أطراف هذه الصراعات بجماعات قبلية أو عنصرية أو دينية متعارضة تظل الأسباب الهيكلية لمعظم هذه الصراعات متجذرة في الافتقار داخل مناطق النزاع إلى سياسة مواطنة تعلي من عامل المساواة أمام القانون في وجه أيديولوجيات الهوية الضيقة. والصبغة العرقية أو القبلية أو الدينية تعمل أحيانًا كمحرك مباشر للصراع عقب عقود من الاضطهاد والتفرقة أو تصبح وقودا مغذياً له. وهذه المواجهات القائمة غالبًا على أهمية التفريق التراتبي بين «نحن» و«هم» تلعب فيها أجهزة الأعلام دور الزيت الذي يمكن المحركات من الدوران إن لم يكن أحيانًا دور الوقود أو فتيل الإشعال. وتلعب أجهزة الإعلام هذا الدور عن طريق تدعيم الصور النمطية والرموز والتحيزات عن «الآخر» – الذي هو العدو – وأحيانا تصل إلى حد التحريض المباشر على القتل والعنف.

### الإعلام الإذاعي والصراع

بينما تلعب الصحف دورًا مهما في تشكيل أفكار وتوجهات النخبة يمارس الإعلام الالكتروني الدور الأهم في التأثير على الجماهير العريضة. ولأن معظم مناطق الصراعات في أفريقيا وآسيا (حيث توجد معظم النزاعات) تعاني من تفشي الأمية فإن الإذاعات صارت أكثر وسائل الإعلام أهمية حيث إن إقامة وتشغيل محطاتها أسهل تقنيا وأقل تكلفة بكثير من الإرسال التلفزيوني كما أن امتلاك مذياع وتشغيله أرخص تكلفة. وفي الصومال وأفغانستان على سبيل المثال تصل نسبة مستمعي الإذاعة إلى ستين في المائة من الشعب. ويمكن للإذاعة على الموجات القصيرة عبور الحدود كما يمكن بث برامج بلغات عدة وتكلفة الإنتاج الإذاعي أقل بكثير من التلفزيون أو الصحافة. وبالطبع هناك أوجه قصور ومنها الحاجة إلى صحفيين محترفين للغاية يمكنهم بالصوت تعويض غياب الصورة، ولا يمكن (كما هو الحال في الصحف) إعادة قراءة المقال وإن كان يمكن لعدة أشخاص الاستماع إلى مذياع واحد (وهذا شبه مستحيل مع صحيفة واحدة).

### «هذه هي عناوين من يستحقون القتل!»

لم يكن توزيع أهم صحيفة في رواندا في الثمانينيات يتعدى عشرين ألف نسخة بينما كانت إذاعة الدولة هي الوسيلة المهيمنة لنقل الأخبار. ومنذ العام 1973 حكم الجنرال **جوفينال هابياريمانا** البلاد وفق سياسات تمييزية لمصلحة عرق **الهوتو** حتى وصلت رواندا في نهاية الثمانينيات إلى مرحلة من ●●●

الغليان السياسي مما أجبر الطغمة الحاكمة على تقاسم السلطة. وفى سنوات قليلة زاد عدد الصحف في مناخ شبه ديمقراطي فظهرت مثلًا صحيفة «كانغورا» Kangura التي حرضت مرارًا على الكراهية مثلما اكتشفت محكمة جرائم الحرب لاحقًا. وعلى سبيل المثال تبنت الصحيفة في أحد أعدادها ما وصفته بأنه الحل النهائي لمنغصات وجود الأقلية التوتسي وكان الحل على شكل صورة «منجل» وهي الأداة الزراعية التي استعملت لاحقًا في حصد أعناق وقطع أطراف مئات الآلاف من **التوتسي** والمعارضين من **الهوتو**. بيد أن الصحف لم تكن المؤثر الرئيسي بل الإذاعة التي كان يستمع إليها أكثر من ستين في المائة من السكان.

وفى مناخ الحرية غير المقيدة (كانت مقيدة فقط في وجه الأصوات المعارضة!) قامت إذاعة RTLM أو (مؤسسة الإذاعة والتلفزيون الحر لبلاد التلال الألف) في العام 1991، وخلال أقل من ثلاثة أعوام وفي جحيم التطهير العرقي، واصلت هذه الإذاعة الحض على قتل **التوتسي** عن طريق نشر الإشاعات والصور النمطية والخطابات التحريضية. وعندما حاول وزير الإعلام كبح جماحهم بعض الشيء دافع عنهم الرئيس محتجًا «بحرية الصحافة» ووصل الأمر بالإذاعة إلى بث أسماء بعينها من المعارضين ومحال إقامتهم وكيف يمكن الوصول إليهم.

لقد كان تحرير الإعلام من سيطرة الدولة المطلقة بمثابة التبرير للدولة للتنصل من المسؤولية القانونية حيال انتشار حملات التحريض. وقد فتحت الدولة باب الحرية نتيجة الضغط المحلي من أجل الديمقراطية والضغط الدولي من جانب المنظمات الدولية وجماعات حقوق الإنسان من أجل مزيد من حرية التعبير ولكنها غضّت الطرف عن حرية الحض على القتل (رغم أنها وضعت عقبات في وجه بعض طالبي الحصول على رخص لمؤسسات إعلامية معارضة). نعمت رواندا بعدة وسائل إعلام مختلفة الأصوات والتوجه، ولكن غياب قواعد محددة وقانون واضح يجرم الحض على الكراهية والتحريض على العنف تحت قناع حرية الصحافة، كان سببًا جزئيا في أن تكتسي عديد من تلال رواندا بالدم والأشلاء البشرية بعد أقل من عامين من تحرير الصحافة.

## الإذاعات وبناء السلام

منذ نهاية الثمانينيات تولت منظومة الأمم المتحدة والمنظمات الأهلية الدولية دورًا أكبر على صعيد حل النزاعات، وبدأ الإعلام يمثل جانبا هامًا من هذه التدخلات في إطار الدبلوماسية الوقائية، أو حتى في مرحلة الصراع وفيما يليها في مراحل ما بعد الصراع ولملمة أشلاء المجتمع.

وتركزت محاولات الأمم المتحدة والمنظمات الدولية (غير الحكومية خاصة) والحكومات الغربية على خلق منظومات إعلامية في مناطق الصراعات يمكنها أن تصبح داعية، ليس فقط للسلام ولكن أيضًا للتفاهم عبر حواجز اللغة والعرق والدين، وبالتالي للعب دورين مهمين: الحد من الأثر المدمر لإعلام الكراهية والحرب ولعب دور إيجابي في نشر ثقافة التفاهم – ليس عن طريق الدعاية الفجة بل بصورة رئيسية عن طريق نزع قناع الشيطان عن وجه العدو وأنسنة الصراعات وتوضيح خريطة الصراع وأصحاب المصالح فيه. وهذا العمل لا يعنى فقط محتوى ما تقدمه الإذاعات بل أيضًا القوانين المنظمة لعملها، ومواثيق الشرف المهني، ورفع كفاءة الصحفيين...إلخ.

وتتبدل بؤرة العمل بحسب بيئة الصراع. ففي البلدان المتقدمة مثل يوغسلافيا يكون التركيز على إعداد برامج يمكن بثها في الإذاعات القائمة وتقوية وتغيير الأطر القانونية بينما في الكونغو مثلًا تطلب الأمر إقامة شبكة إذاعية جديدة.

وتصاعد تدريجيًا دور الإذاعات في بعثات حفظ السلام وبدأ مجلس الأمن الذي يحدد ولاية وتفويض هذه البعثات يدرج في قراراته الحق في تنظيم حملات إعلامية، سواء كان ذلك عن طريق استعمال وسائل إعلامية قائمة بالفعل أو إنشاء وسائل إعلامية جديدة.

ويتشكل هذا الدور وفق الإطار القانوني لتفويض مجلس الأمن، فإذا كان مرتكنًا على الفصل السادس من ميثاق الأمم المتحدة يخضع التدخل لمدى تعاون الدولة المضيفة، ويكون في الأغلب مع وسائل إعلام قائمة وفى إطار التعديلات القانونية وتقوية المهارات المهنية؛ أما إذا كان التدخل على أساس الفصل السابع مما يمنح بعثة الأمم المتحدة حقوقًا تدعمها القوة في بلد (أو منطقة) انهارت فيها البنية الأساسية بما فيها حكم القانون، فساعتها يصبح تأسيس إذاعة خيارًا أفضل.

وبدأت تتشكل ملامح عدة مبادئ أساسية لمنظومة إعلامية يمكن نشرها في أجواء الصراع ومنها أن تكون وسيلة الإعلام ذات نفاذ وانتشار واسع (مما يفسر التركيز على الإذاعات في أفريقيا)، الاستيعاض عن الرقابة المباشرة بتبنٍّ صارم للوائح مهنية تفصيلية، مع الاستعانة بصحفيين أجانب على قدر عالي من الحرفية لإدارة الإذاعات الجديدة أو لتطوير وسائل الإعلام القائمة، تعديل القوانين القائمة أو وضع قوانين جديدة تضمن حرية الصحافة وفي الوقت نفسه تضمن عدم استغلال هذه الحرية في الحض على العنف أو الكراهية.

ويمكن تبين ملامح عدة أدوار رئيسية لهذه الإذاعات من حيث المحتوى الذي تقدمه:

1– مكافحة الصور النمطية السلبية ونشر الحقائق حول «الآخر» وهمومه ومخاوفه وأيضًا حول مجريات الصراع أو عملية السلام والمصالحة.

2– التوعية بجذور الصراع وكيفية نشأته

3– نشر الأخبار والمعلومات عن عمليات الإغاثة وتوزيع المساعدات الإنسانية وأوضاع اللاجئين والأوضاع الأمنية ونزع الألغام والسلاح وعمليات الانتخابات.

## اللاعبون الرئيسيون

إضافة إلى الأمم المتحدة فإن اللاعبين الرئيسيين في مجال الإعلام في مناطق النزاع هم الدول والمنظمات المانحة من جهة، ثم المنظمات غير الحكومية الدولية التي تقوم بمعظم التنفيذ وأحيانا بجزء من التمويل من جهة أخرى. هذا بالطبع بالإضافة إلى السلطات القائمة في هذه المناطق والمنظمات والصحفيين المحليين وإن كانت العلاقة تميل كثيرا لصالح الأطراف الخارجية (منظمات أو مانحين لأسباب لا تتسع هذه المقالة لشرحها).

وأهم المانحين: اللجنة الأوروبية European Commission، الوكالة الأميركية للتنمية الدولية (USAID) ، قسم التنمية الدولي البريطاني، وكالة التنمية الدولية الدانمركية DANIDA، والوكالة الكندية للتنمية الدولية.

وأضخم المنظمات غير الحكومية الدولية في هذا المجال وكلها تتلقى التمويل الرئيسي من وكالة التنمية الدولية الأميركية هي إنترنيوز Internews، أيريكس Irex, Search for Common Ground.

والمجموعة الأخيرة من اللاعبين الدوليين في هذا المجال هي المنظمات العاملة في مجال تنمية الإعلام ويتم اللجوء إليها عادة لقدرتها على تجميع الأموال اللازمة بسرعة وحركتها النشطة في تنفيذ مهامها وتحررها من القيود الدبلوماسية التي قد تبطئ عمل الأمم المتحدة. وتؤمن كل هذه المنظمات بحرية التعبير وتسعى إلى دعم الديمقراطية والحيلولة دون اندلاع الصراعات وبناء السلام على أساس أن حرية الصحافة هي أهم الضمانات اللازمة لتحقيق هذه الأهداف. وتعمل هذه المنظمات في مجالات بناء القدرات والمؤسسات وتقديم المشورة بشأن سياسات وقوانين الإعلام ودعم إنتاج البرامج والاتحادات المهنية. ومن هذه المنظمات التي قام معظمها في أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات: Equal Access - Free Voice - Press Now - Open Society Institute - International Media Support - Institute for War and ● Peace Reporting -Panos - Hirondelle

**أنشأت اللجنة الدولية للصليب الأحمر في العام 1985 خطا ساخنا يهدف إلى تمكين الصحافيين الموجودين في مناطق خطر والذين يغطون الحروب من التواصل مع اللجنة الدولية عند الحاجة لتأمين الحماية لهم ومساعدتهم.**

# خط ساخن لمساعدة الصحافيين في مناطق الخطر

**دوريثيا كريميتساس***

**تعرضت** سلامة العاملين في المجال الإعلامي في مناطق الحرب لتدهور حاد خلال السنوات الأخيرة. فكل يوم يمر يتعرض الصحفيون فيه للقتل أو الإصابة أو الاحتجاز أو الاختفاء وحسب أثناء قيامهم بمهمتهم. وحصيلة الوفيات مرعبة، إذ لقي أكثر من ألف صحفي مصرعهم أثناء أدائهم للعمل خلال السنوات العشر الماضية، ومن بين كل أربعة صحفيين قتل صحفي أثناء النزاعات المسلحة وفقا «لمعهد أمان الأخبار العالمي»، وغالبية هؤلاء الذين يتعرضون للقتل يغطون أحداثا تجري في بلدانهم.

ومن منطلق كونها منظمة إنسانية معنية بسلامة العاملين في المجال الإعلامي المكلفين بمهام خطيرة، تساهم اللجنة الدولية في تحسين مستوى الحماية المكفول لهم بطرق مختلفة. ويعد الخط الساخن الذي تتيحه اللجنة الدولية من بين الوسائل الفعالة لتوفير المساعدة في الميدان. وقد أنشأت اللجنة الدولية الخط الساخن في العام 1985 لحماية العاملين في مجال الإعلام ومساعدتهم في أي مكان يواجهون فيه صعوبات داخل مناطق النزاع المسلح. فعندما يتعرض أحد الصحفيين للاختفاء أو الإصابة أو القتل أو الاحتجاز ويعجز عن طلب المساعدة، يكون بإمكان الصحفيين أو أصحاب العمل أو أقربائهم إبلاغ اللجنة الدولية سواء عن طريق اللجوء إلى أقرب مكتب تابع لها أو الاتصال على الخط الساخن الدائم على الهاتف رقم: 85 32 217 41 79.

وتتمثل خدمات المساعدة التي يمكن للجنة الدولية أن تقدمها للصحفيين في ما يلي: البحث عن معلومات عن صحفي أُوقف/قبض عليه والوصول إليه في إطار زيارات اللجنة الدولية إلى السجون؛ تقديم معلومات فورية إلى الأقارب وأصحاب العمل/جمعيات الصحفيين حول مكان وجود صحفي يجري البحث عنه كلما أمكن الحصول على هذه المعلومات؛ الحفاظ على الروابط العائلية؛ البحث الفعلي عن الصحفيين المفقودين؛ استرداد أو نقل أو إعادة الرفات إلى الوطن؛ إجلاء الصحفيين الجرحى...إلخ.

ومثال على ذلك، في أواخر شهر مايو/أيار من العام 2003، وبعد مرور أسبوعين على نشوب الحرب في العراق، تلقى موظفو اللجنة الدولية في مقرها في مدينة السليمانية الواقعة في شمال البلاد نداء طارئا عبر الهاتف من قبل صحفيين يطلبون المساعدة. فقد تعرض اثنان من الصحفيين الأستراليين للاعتداء أثناء قيامهم بتغطية الأوضاع في شمال البلاد وأسفر ذلك عن مقتل أحدهما وإصابة الآخر بجراح.

ونجحت اللجنة الدولية في الوصول إلى المستشفى في وقت قصير وقامت خلال بضع ساعات بتنظيم وتنفيذ عملية إجلاء الشخص الجريح وجثة المتوفى إلى إيران حيث تسلمتهما السفارة الأسترالية هناك.

ويمكن استخدام الخط الساخن فقط في ظل أوضاع مرتبطة بالنزاع داخل المناطق التي تقدم فيها اللجنة الدولية نشاطاتها الإنسانية على أن يكون إسهام اللجنة الدولية له قيمة مضافة.

وخلال السنوات الأخيرة، تمكنت اللجنة الدولية من القيام بعملها بشكل سريع وفعال في العديد من المناطق بفضل الخط الساخن. فقد زار مندوبوها صحفيين فرنسيين محتجزين في تشاد في العام 2007 وصحفيين كولومبيين في العام 2006 للوقوف على ظروف احتجازهم والسماح لهم بمداومة الاتصال بعائلاتهم. وفي عام 2004 وبوصفها وسيطا محايدا، ساعدت اللجنة الدولية في عملية تسليم الصحفيين للحكومة بعد أن أطلقت إحدى الجماعات المسلحة سراحهم في آتشيه. وساعدت اللجنة الدولية أيضا في إعادة رفات صحفي سويدي إلى وطنه بعد أن قتل في مقديشو (الصومال) في عام 2006.

ولا يعد اهتمام اللجنة الدولية بسلامة الصحفيين شيئا جديدا إذ إنه جزء لا يتجزأ من حرصها على حماية أي شخص لا يشارك في العمليات العدائية أو لم يعد مشاركا فيها لا سيما السكان المدنيين المشمولين بالحماية بموجب اتفاقيات جنيف.

إلا أن الامتثال لهذه الأحكام وإنفاذها لا يتم في كثير من الأوقات بشكل كاف ●●●

(*) Dorothea Krimitsas مسئولة العلاقات مع وسائل الإعلام– حماية الصحفيين والخط الساخن في اللجنة الدولية– جنيف

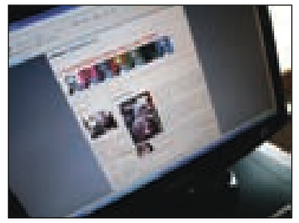

## مدونة اللجنة الدولية على الإنترنت

فريديريك جولي*

**أنشأت** بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في فرنسا مدونة لها منذ عام مضى. وتعد هذه المدونة الأولى من نوعها التي تتيحها المؤسسة على شبكة الإنترنت لاسيما أن هذه الشبكة باتت تحتل مكانة عالية في مجال الاتصالات لا يمكن تجاهلها.

وتقدم المدونة التي تحمل عنوان "العمل الإنساني في جميع أحواله"** لمتصفحي الشبكة باللغة الفرنسية نظرة غير تقليدية على كل جديد يشهده العمل الإنساني والقانون الدولي الإنساني. وهي تتوفر على الموقع الإلكتروني لصحيفة "لوموند" الفرنسية.

والهدف الذي تتوخاه بعثة اللجنة الدولية في باريس من خلال هذه الأداة الإعلامية الجديدة هو تعزيز الأنشطة الإعلامية للمؤسسة من خلال إلقاء الضوء على فحوى موقعها الرسمي cicr.org.

وتهدف المدونة أيضا إلى توفير مواد جديدة للنقاش من خلال فتح الباب أمام المنظمات غير الحكومية والهيئات لتدلي بدلوها بطريقة مستمرة. وتتيح المدونة، التي يجري تحديثها ثلاث مرات في الأسبوع، معلومات مكتوبة ومسموعة ومرئية تشمل كتابات وصورا وتسجيلات صوت وفيديو. كما يتيح نظام التشغيل الخاص بالمدونة أدوات للتحرير سهلة الاستخدام مثل Wordpress.

ويكمن نجاح المدونات أي جذب القراء لزيارة الموقع ومطالعة محتوياته، في طابعها غير المؤسسي وتفاعل صاحبها مع القراء وتواصله معهم دون حواجز. وللوصول إلى ذلك، يجب أن تظل المدونة نتاج صاحبها الذي يحث القارئ بأسلوبه الخاص على قراءة المزيد حول مواضيع أو أحداث بعينها. ومن أجل جذب المزيد من متصفحي الشبكة، توفر المدونة منتجات جديدة لاسيما لقاءات صوتية عبر الهاتف مع مندوبي اللجنة الدولية في الميدان والمسؤولين الرسميين في المؤسسة وكذلك الشخصيات المعنية بالعمل الإنساني والقانون الدولي الإنساني.

وقد عقدت المدونة منذ نشأتها نحو ستين لقاء سمعيا، وهذا لا يعني عدم اللجوء إلى تسجيلات الفيديو الذي يعد من أكثر الأدوات الإعلامية المطلوبة على شبكة الإنترنت. لاستخدامها في إبراز بعض المقالات التي تنشرها.

ويوضح رئيس بعثة اللجنة الدولية في فرنسا **كورباز** Laurent Corbaz قائلا: «**إن تجربة هذه الأداة الجديدة تساهم في توضيح دور اللجنة الدولية في فرنسا وفي العالم الفرانكوفوني بطريقة أكبر. فهي وسيلة لجعل الاتصالات المؤسسية تجري في إطار غير رسمي وتُعزز عملية التعريف بآخر ما تقوم به اللجنة الدولية من نشاطات وتطرحه من نقاش والتحديات التي تواجهها وكذلك بالعمل الإنساني والقانون الدولي الإنساني. ويؤدي تحديث المدونة بشكل منتظم إلى الحفاظ على شبكة اتصالات البعثة وتدعيمها**».

وتخضع المدونة إلى سياسة تحريرية محددة بالرغم من طابعها الخاص ومن استضافة موقع صحفي لها. فقبل إتاحة أي مقال على الشبكة، يجري التأكد من أنه يتوافق مع سياسة التحرير المسؤول عنها مدير النشر **لوران كورباز**.

وبعد مضي عام على خروج هذه المدونة إلى النور، يزور 300 متصفح المدونة يوميا وأحيانا يتزايد هذا العدد بشكل كبير عند وقوع أحداث مهمة أو معينة. تجدر الإشارة إلى أن 40 ٪ من هؤلاء المتصفحين ليسوا في فرنسا بل في كندا والولايات المتحدة وبلجيكا وسويسرا والبلدان الناطقة بالفرنسية في أفريقيا.

ويتابع مقر اللجنة الدولية في جنيف باهتمام تطور هذا المشروع ويدرس إمكانية توسيعه في الوقت القريب ليشمل اللغات الأخرى، الإنكليزية والإسبانية والعربية ●

(*) Frederic Joli المتحدث باسم اللجنة الدولية في فرنسا وكاتب مدونة "العمل الإنساني في جميع أحواله"

(**) «L'humanitaire dans tous ses Etats» **http://cicr.blog.lemonde.fr**

## .. وأفلامها على «يوتيوب»

**دخلت** اللجنة الدولية للصليب الأحمر في بداية العام 2008 في شراكة مع موقع «يوتيوب» YouTube المتخصص ببث أفلام الفيديو مما شكل فرصة رائعة للجنة لبث أفلامها إلى طائفة جديدة من الجمهور.

ويمكن لزائر صفحة اللجنة على الموقع على العنوان **http://fr.youtube.com/user/icrcfilms** أن يشاهد أكثر من مائة من أفضل الأفلام التي أنتجتها اللجنة باللغات الإنكليزية والفرنسية والإسبانية. ويجري إعداد خطة لإضافة أفلام باللغات العربية والروسية والصينية قريبا بهدف الوصول إلى جمهور أوسع.

وموقع "يوتيوب" هو الموقع الأكثر شعبية في العالم للفيديو على الإنترنت ووجود اللجنة الدولية للصليب الأحمر عليه كان لافتا للنظر. فبعد إطلاق القناة الخاصة باللجنة بوقت قصير فاق عدد الأفلام التي تمت مشاهدتها من قبل الزائرين التسعين ألف فيلم. وقد حصلت العديد من الأفلام على تصنيف 5 نجوم، وهو التصنيف الأعلى للأفلام على الموقع، كما أن العديد منها دفعت مشاهديها إلى التعليق بشكل تلقائي عليها، حيث من الواضح أنهم تأثروا بمضمون ما شاهدوه.

إن الشراكة مع «يوتيوب» هي بلا شك وسيلة قوية لإظهار أثر عمل اللجنة الدولية للصليب الأحمر وأنشطتها، من أجل زيادة الوعي بالقضايا الرئيسية التي تشغلنا، وقبل كل شيء للاتصال مع هذا الجمهور الجديد الذي قد لا نتمكن من التواصل معه بطرق أخرى ●

# ميانمار: أسوأ كارثة إنسانية بعد تسونامي

**خلف الإعصار «نرجس»، الذي ضرب دولة ميانمار (أو بورما) في جنوب شرق آسيا، في الرابع من مايو/ أيار الماضي، ما يزيد على 77 ألف قتيل، وفقًا لتقديرات الأمم المتحدة، بالإضافة إلى ما لا يقل عن 55 ألفا آخرين ما زالوا مفقودين.** •••

AFP

في تقرير نشرته "شبكة الأنباء الإنسانية" (إيرين) بعد مرور شهر على إعصار "نرجس" الذي ضرب ميانمار، يحكي أحد المصورين الصحفيين عن معاناته للوصول إلى منطقة دلتا إيراوادي الأكثر تضررًا بهذه الكارثة فيقول: **"في 4 يونيو/ حزيران، بدأت الأمطار تهطل بشدة على يانغون، العاصمة السابقة للبلاد، وأدت السيول إلى وقف حركة السيارات القديمة وأجبرت المسافرين على التنقل مشيًا على الأقدام عبر المياه التي كانت تصل إلى الركب. ..أتيحت لي فرصة لزيارة مدينة كونغ يانغون في المنطقة الشمالية من الدلتا. والطريقة الوحيدة للقيام بذلك كانت الاندماج بمجموعات من المحليين ومحاولة الظهور بمظهرهم. ارتديت «اللونغي»، اللباس التقليدي للرجال، وتوجهت إلى الضفة الأخرى لنهر يانغون لأستقل الحافلة إلى المناطق المتضررة. كانت بقايا الأشجار التي اقتلعها الإعصار وحطام البيوت التي دمرها تملأ الطريق. وكان التجول في أرجاء كونغ يانغون أصعب مما تصورت. فالمنطقة تعج بالجنود الذين يقومون بتنظيف الطرقات من الحطام أو يجلسون في خيام زرقاء يراقبون منها عمال الإغاثة الطبية وهم يقومون بفحوصاتهم ويقدمون الإسعافات الأولية للناجين من الإعصار... وصلنا إلى بازومشون، وهي قرية تبعد حوالي ساعة ونصف بالمركب. وعند وصولنا، كان المطر يتساقط بشدة والرياح تعصف بقوة. تحدثنا مع زعيم القرية بمساعدة أحد المترجمين وأخبرنا أن كل شيء حصل بسرعة كبيرة لدرجة أن سكان القرية لم يدركوا هول الكارثة إلا في اليوم التالي. وقد لقي 100 شخص على الأقل حتفهم في القرية وحدها.**

سافرنا بعد ذلك إلى قرية كيون مانول التي تؤوي حوالي 1,800 شخص والتي فقدت حوالي 300 من سكانها. روى لنا صبي في الثالثة عشرة من العمر يدعى كياوتو تجربته قائلًا: **"كان الظلام يعم المكان والريح تعصف بشدة. سمعت أصواتًا عالية ولم أستطع بعدها العثور على أسرتي. أعلم أنهم قد ماتوا جميعًا. ولكن الناس في ميانمار صامدون. أينما ذهبت تجد الناس يحاولون الوقوف والعودة إلى حياتهم من جديد، إذ لا يوجد لديهم وقت للحزن مع أن مظاهر الأسى والتعب وقلة الغذاء بادية على وجوههم. كان الجنود ينظفون الطرقات ولكن الناس الذين يعيشون في المنطقة مجبرون أيضًا على القيام بالكثير من التنظيف في الوقت الذي يفتقرون فيه للموارد الرئيسية اللازمة لذلك".**

وتقول الدكتورة **جميلة محمود**، طبيبة التوليد والعضو في فريق الأمم المتحدة للتقييم والتنسيق أثناء الكوارث وواحدة من أوائل موظفي الإغاثة الدوليين الذين وصلوا إلى منطقة دلتا إيراوادي في تقرير نشرته الشبكة نفسها: **"عندما تصل إلى يانغون، لا ترى فعلًا الحجم الحقيقي للدمار. بالطبع تصادفك البنايات المدمرة والأشجار المقتلعة من جذورها، ولكنك لا تدرك الحجم الفعلي للكارثة إلا عندما تصل إلى منطقة الدلتا...أثناء تحليقي فوق المناطق المتضررة، لم أستطع أن أمنع نفسي من التفكير في أن ما أرى هو أسوأ من كارثة التسونامي التي ضربت آسيا في العام 2004، فالقتلى والنازحون يملأون المكان وامتداد الفيضان كان حتمًا أكبر بكثير، حيث امتد إلى 35 كلم في بعض المناطق مقارنة بـ 5 أو 6 كيلومترات أثناء التسونامي..."**

وكان إعصار "نرجس" والمد الذي أعقبه قد خلف حوالي 133،000 قتيل ومفقود و2,4 مليون مشرد. وأشارت منظمة الأمم المتحدة إلى أن الإعصار تسبب في نزوح أكثر من 600 ألف شخص عن منازلهم، معظمهم ممن كانوا يعيشون في منطقة "دلتا إيراوادي"، أكثر المناطق تضررًا نتيجة الإعصار.

وجمهورية ميانمار الاشتراكية وكانت تسمى "بورما"، وعاصمتها يانغون، هي إحدى دول جنوب شرقي آسيا. انفصلت عن الإدارة الهندية في الأول من أبريل/نيسان من العام 1937 إثر اقتراع حول استقلالها. تبلغ مساحتها 680 ألف كيلومتر مربع أما عدد سكانها فيبلغ حوالي 50 مليون شخص.

يختلف سكان ميانمار من حيث التركيب العرقي واللغوي، ويتحدث أغلب سكانها اللغة الميانمارية وباقي السكان يتحدثون لغات متعددة.

وميانمار بلد زراعي يعيش ثلاثة أرباع أهله على الزراعة إذ يعمل بالزراعة 43٪ من القوة العاملة، وأما أبرز محاصيلها فهي الأرز وهو الغذاء الأساسي لمعظم سكانها، ويفيض عن حاجتها وتصدر منه كميات كبيرة حيث تحتل المرتبة الرابعة عالميا في تصديره. وإلى جانبه تزرع الذرة والبذور الزيتية والمطاط وقصب السكر والشاي. وتشغل الغابات مساحة واسعة تزيد على نصف البلاد ولهذا يعتبر الخشب الجيد من أهم صادراتها إلى جانب بعض المعادن مثل

أكثر المناطق تأثرًا بالإعصار «نرجس» كانت منطقة دلتا ايراوادي في ميانمار

AFP

بيوت ابتلعها الإعصار في بلدة ديبايي في دلتا إيراوادي

REUTERS



الرصاص والأنتيمون والبترول.

تسبب هول الكارثة التي حلت على ميانمار واتساع رقعتها الجغرافية في عزل الناجين في مناطق نائية من دلتا إيراوادي واضطرارهم للتعامل مع جثث الأقارب وغير الأقارب. وفي هذا الإطار، يقول **كريغ ستراتيرن**، الناطق باسم اللجنة الدولية للصليب الأحمر، لشبكة الأنباء الإنسانية (إيرين) من يانغون أنه **"من الواضح من خلال المعلومات التي حصلنا عليها أنه لم يتم تبني استراتيجية شاملة ومتناسقة في هذا المجال... ففي معظم الأحيان تضطر المجتمعات المحلية للتعامل مع المشكلة في محيطها دون مساعدة"**.

من جهته، أفاد **جون سبارو**، الناطق باسم الاتحاد الدولي للصليب الأحمر أن **"المزارعين يقولون أنهم رموا بعض الجثث في النهر...فهم يائسون ويتطلعون لبدء موسم زراعة الأرز، وإذا وجدوا أية جثة ولم يتمكنوا من التعرف على صاحبها فإن كل ما يقومون به هو رميها في النهر"**. وأوضح **سبارو** قائلًا: **"القرار بشأن كيفية التعامل مع المشكلة تُرِك للقادة المحليين. فنحن نتحدث عن منطقة شاسعة جدًا حيث وسائل المواصلات وغيرها من التسهيلات اللوجستية جد محدودة. ولا يفاجئنا أن يتم إعطاء الأولوية في الاستفادة من هذه التسهيلات لعملية توصيل وتوزيع مواد الإغاثة والطوارئ"**.

من جهتها، عملت اللجنة الدولية للصليب الأحمر على توزيع مستلزمات الحماية مثل القفازات والأقنعة لمساعدة المتطوعين على التخلص من الجثث. ويشهد الطلب على هذه المستلزمات ارتفاعًا متزايدًا.

وبدأت اللجنة الدولية بتوزيع الأغذية والمواد الأساسية لآلاف المنكوبين من الخيام البلاستيكية لتغطية المنازل التي اقتلع الإعصار سقوفها وأقراص لتنقية المياه وبعض مواقد الغاز والملابس للمحتاجين.

لكن المسؤول في اللجنة الدولية **مايكل أنير** قال **"إن إيصال المساعدات يواجه صعوبات جمة بسبب عدم القدرة على التنقل"**.

كما زودت اللجنة الدولية جمعية الصليب الأحمر في ميانمار بإمدادات طبية لعلاج 200 مريض يعانون من جروح رضحية، وقدمت مولدًا كهربائيا إلى مستشفى تابع لوزارة الدفاع يشرف على رعاية 80 شخصًا من مبتوري الأطراف.

ووضعت اللجنة الدولية أربع سيارات وسائقيها تحت تصرف الصليب الأحمر في ميانمار لتمكينه من تقييم الاحتياجات في المناطق الأشد تضررا من الإعصار. وتنسق اللجنة الدولية والاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر جهودهما لدعم الصليب الأحمر في ميانمار في عملية تقييم الاحتياجات ومواجهتها. ويعمل حاليًا مع اللجنة الدولية في ميانمار خمسة مندوبين أجانب و90 موظفًا محليا.

كما وصلت طائرة بضائع استأجرتها اللجنة الدولية للصليب الأحمر إلى "يانغون" محملة بخمسة وثلاثين طنًا من المعدات والمواد التي تحتاجها البلاد على نحو عاجل من أجل الرعاية الطبية والمياه الصالحة للشرب والصرف الصحي والنقل الآمن لجثث الموتى. وقد سهلت السلطات في ميانمار وصول الإمدادات وتحويلها لاحقًا إلى اللجنة الدولية وإلى جمعية الصليب الأحمر في ميانمار.

وتكفي الإمدادات الطبية لعلاج ما يقرب من 250 مريضًا يعانون من الصدمات وتوفير الرعاية الصحية الأساسية لحوالي 10 آلاف شخص لمدة ثلاثة أشهر. ويعتزم أن توفر المواد الخاصة بالمياه والصرف الصحي، والتي تشمل محطة متنقلة لمعالجة المياه، مياهًا صالحة للشرب لصالح 10 آلاف شخص.

وسوف توجه بعض الإمدادات إلى عدة مراكز احتجاز ضربها الإعصار وذلك بناءً على طلب السلطات في ميانمار. ونظرًا للحاجة الملحة للمياه الصالحة للشرب، تم تأسيس محطة معالجة المياه على نحو فوري في موقع حددته جمعية الصليب الأحمر في ميانمار.

وتنظر اللجنة الدولية أيضا في الطريقة الفضلى لمساعدة أفراد العائلات التي شردها الإعصار على إعادة الاتصال في ما بينهم، وهي وضعت ميزانية أولية بمقدار مليونين من الفرنكات السويسرية مخصصة لإنجاز هذه العملية.

ويعمل فريق اللجنة الدولية في "يانغون" مع جمعية الصليب الأحمر في ميانمار للمساعدة على إعادة الاتصال بين الأشخاص الذين انفصلوا عن أحبائهم جراء الكارثة، وهذا جزء رئيسي من عمل الصليب الأحمر.

ويقول السيد **بيير أندريه كونو**، رئيس بعثة اللجنة الدولية في ميانمار: **"إن الأولوية بالنسبة لنا هي ضمان حصول ضحايا هذه الكارثة الهائلة على المياه الصالحة للشرب والمأوى والغذاء والرعاية الصحية. ولكن لا يمكن الاستهانة بأهمية تمكين عائلة ما من معرفة أن طفلها على قيد الحياة وفي حالة جيدة"** ●

# امرأة تحاول صنع السلام من ركام الدمار

حازت هذه القصة على الجائزة الثانية في مسابقة «أفضل قصة إنسانية» التي نظمتها اللجنة الدولية للصليب الأحمر خلال العام 2007. وكانت قد نشرت في جريدة «الأيام».


**نائلة خليل***

الرسم: **نبيل تاج****


**بعد** سنوات من الغضب والفقدان تتطلع الأسيرة المحررة **سيما عنبص** إلى السلام والمصالحة كطريق أمثل لمواصلة حياتها بعد كل جرائم الاحتلال التي أفقدتها شقيقها وزوجها وحريتها لسنوات.

تنظر **سيما** (35 عاما) اليوم إلى المستقبل بعيون أولادها الأربعة، لذا فهي تريده مستقبلا خاليًا من الموت والفقدان وقضبان السجن الذي روعها.

في بيتها بمخيم طولكرم ازدحمت الجدران بصور الشهداء والأسرى من أحبائها، حتى يبدو أن لا مكان لصورة أخرى، تبتسم **سيما** بمرارة وهي تعلق «**والدي مولع بتكبير الصور، وهو محق لأنها الطريقة المتاحة لرؤية عيون من نحب كل يوم**».

**سيما** التي عاشت الأعوام الستة الماضية لا دافع لحياتها سوى الغضب والانتقام، أفرج عنها من المعتقل الإسرائيلي في الصيف الفائت، ومنذ ذلك الحين تعمل متطوعة في نادي الأسير في مدينة طولكرم.

وإلى جانب ذلك تشارك بنشاطات جماعة «مقاتلون من أجل السلام» التي تضم نشطاء عربا وإسرائيليين مقتنعين أن السلام بين الشعبين الفلسطيني والإسرائيلي لن يكون عبر العنف والمزيد من الدماء بل عبر المفاوضات والحوار.

«**كنت ربة بيت عادية، لدي زوجي وأبنائي الأربعة، وأشقائي الذين تكفلت بتربيتهم وأنا لم أكمل الرابعة عشرة من عمري بسبب مرض أمي، كانت حياتي عادية ورتيبة لكني اليوم أتذكرها كحياة رائعة**» تقول **سيما**.

رغم جمالها يحمل صوتها هدوءا وبحة حزن، ولا تداري **سيما** ارتباك مشاعرها عندما تبدأ بالحديث عن مدى حبها لشقيقها **مصطفى** وزوجها **إبراهيم النعنيش** اللذان استشهدا في انتفاضة الأقصى.

### فقدان وغضب

«**استشهاد مصطفى كان أول مأساة في حياتي، لقد ربيته كما لو كان ابنًا لي، عندما استشهد شعرت لأول مرة ماذا يعني الموت، وعندما عاد أشلاءً إلى البيت احترق قلبي**»، تقول **سيما** وهي تشير إلى صوره المعلقة على الحائط.

وكان **مصطفى عنبص** (21 عاما) قد استشهد في السادس من سبتمبر/أيلول 2001، إثر قصف طائرة أباتشي للسيارة التي كان متواجدا فيها بصحبة **رائد الكرمي** أبرز المطلوبين لقوات الاحتلال في مدينة طولكرم في ذلك الحين. يذكر أن **الكرمي** نجا بأعجوبة من عملية الاغتيال تلك، لكن بعد ثلاثة شهور نجحت قوات الاحتلال باغتياله مع ناشط آخر.

وتؤكد **سيما** «**شقيقي لم يكن مطلوبا لقوات الاحتلال، كان شابا في أول عمره، كل ما يحلم به أن يعمل شرطيا في السلطة**». وتكمل «**بعد استشهاد مصطفى شعرت بغضب كبير ورغبة عارمة في الانتقام، زوجي أيضا تأثر كثيرا حيث كانت تربطه علاقة قوية مع مصطفى، ورغب بالانتقام له وأنا شجعته على ذلك، لأن غضبي كان أكبر من أن أحتمله**».

بعد ثلاثة أشهر من استشهاد **مصطفى** تحول **إبراهيم النعنيش** من رب أسرة وبائع للطيور وأحيانا عامل مياوم بشكل متقطع في إسرائيل إلى ناشط مع كتائب الأقصى، ورويدا رويدا أصبح من أبرز المطاردين لقوات الاحتلال.

غضب **سيما** وألمها لم يخفت مع مرور الأيام بل كان يزداد، ففي الثامن والعشرين من شهر أكتوبر/تشرين الأول من العام 2002 قتلت قوات الاحتلال ابن عمها **أحمد عنبص** ولم يكن يتجاوز عمره حينها الخامسة عشرة.

تقول «**كان أحمد عائدا من مدرسته ظهرا، عندما اكتشف أن قوات إسرائيلية خاصة بدأت تحاصر الحي الذي يعيش فيه والذي يتواجد فيه دائما عدد من المطلوبين، صرخ أحمد ليحذرهم فأطلقوا عليه وابلا من الرصاص وقتلوه**».

تتذكر **سيما** ذلك اليوم وكيف احتجزت قوات الاحتلال جثة ابن عمها، وأعادتها مساء ذلك اليوم وقد مثّلت بها بعد أن أصيبت بنحو 70 رصاصة إلى جانب تقطيع جميع أصابع الشهيد، مما سبب صدمة لعائلته ولأصدقائه الذين ودعوا جثمانه.

في غضون ذلك كان بيت **سيما** يتعرض للاقتحام الدائم والتخريب من قوات الاحتلال التي دأبت تبحث عن زوجها المطلوب.

أصيب زوجها **إبراهيم النعنيش** ثلاث مرات برصاص قوات الاحتلال، قبل أن تتمكن من اغتياله بعد ثلاث سنوات من الملاحقة حيث اغتيل في الثامن والعشرين من أكتوبر/تشرين الأول من العام 2003.

دائرة الألم والموت لم تغلق باغتيال زوجها، فغضب العائلة كان يزداد ولا يهدأ حتى بعد دفع فاتورة كبيرة من الخسارة.

تقول **سيما** «**بعد أربعين يوما على استشهاد زوجي اعتقلت قوات الاحتلال شقيقي الأكبر عبد الله، بزعم أنه نفذ عملية إطلاق نار على حاجز عسكري في اليوم الثاني لاستشهاد زوجي ثأرا له**».

اعتقل **عبد الله** تاركا وراءه زوجة وأولادا، وحكم عليه بالسجن 14 عاما قضى منها أربع سنوات فقط.

### أطفالي بلا أم

تتذكر **سيما** تلك الأيام بغصة ومرارة، وبعد اعتقال شقيقها **عبد الله** بشهرين اعتقلتها قوات الاحتلال مع شقيقها الأصغر **محمد**.

تقول **سيما** «**كنت واثقة أنه بعد سلسلة المآسي التي مررت بها سيتم اعتقالي، كنت خائفة فقط على أولادي سيّما أن والديّ كبيران في العمر ويصعب عليهما الاعتناء بهم وتحديدا أصغرهم مصطفى الذي كان حينها لم يكمل عامه الأول بعد**».

حكم على **سيما** بالسجن لمدة عامين ونصف بتهمة مساعدة زوجها الشهيد فترة مطاردته، فيما أمضى شقيقها الأصغر ستة أحكام بالسجن الإداري لما مجموعه ثلاثة أعوام دون تهمة محددة.

تعتبر **سيما** تجربة الاعتقال هي الأقسى في حياتها، تقول «**أمضيت شهرين في زنازين الجلمة تحت الأرض بهدف التحقيق، كان يبتعد إحساسي بالتعب والجوع، عندما أتذكر أن أولادي خسروا والدهم وبعد ثلاثة شهور خسروا أمهم أيضا**».

خرجت **سيما** من السجن في يوليو/تموز من العام 2006، لتجد والدها القوي قد أرهقته كثرة المآسي التي عاشتها العائلة وأصيب جراء ذلك بمضاعفات في القلب، أما أطفالها الذين عاشوا عامين ونصفا دون أم وأب فقد كان وضعهم النفسي لا يقل سوءا عن وضع قلب جدهم المريض.

أكثر الأمور قسوة كانت عندما رفض طفلها **مصطفى** حضنها، بل كان يبكي عندما تقترب منه، ولا يسمح لها إطلاقا باصطحابه للحمام.

عاش الطفل **مصطفى** طوال فترة حكم والدته في حضن خالة الأم، كان يقول لها «ماما»، وينادي على زوجها «بابا»، احتضناه كابن لهما لعدم قدرة الجدين على رعايته لصغر سنه.

وبعد عام من الإفراج عن **سيما** والتئام شملها على أطفالها لا يزال **مصطفى** ينادي خالة الأم –**أم مجدي**– «بأمي» واقتنع بعد طول وقت ورعاية خاصة أن له أبوين وأمين، ويقسّم وقته في النوم بالمنزلين لأنه لا يستطيع الاستغناء عن أحدهم في حياته.

أما الابنة الكبرى **ميسّر** (9 أعوام) فتقول جدتها أم **سيما**، أنها باتت طفلة عصبية وحساسة للغاية، وسرعان ما يصيبها تشنج عند أدنى شجار مع أبناء عمها، أو عندما يدخل الجيش للمخيم ليلًا حيث لا تزال تعتقد أنهم جاءوا لاعتقال والدتها مرة ثانية.

أما الطفلتان الأصغر **عنود** (8 سنوات) و**ريهام** (6 سنوات) فلا يختلفن عن **ميسّر** في خوفهما أن يأتي جنود الاحتلال •••

(*) صحافية فلسطينية

(**) رسام مصري

•••ويأخذوا والدتهن بعيدا كما فعلوا ذات يوم.

**أحلم وأعمل من أجل السلام**

اليوم كل ما تريده **سيما** هو أن تربي أطفالها بسلام، متمنية ألا يعيشوا الواقع الذي عاشته يوما حيث الدماء والقتل والسجن. «**أحلم بواقع مختلف يعيشه أطفالي، أعلم أننا ضحية الاحتلال الإسرائيلي وآلة حربه، لكن المزيد من العنف لن يولد سوى المزيد من الدماء، يجب أن يقتنع الإسرائيليون والفلسطينيون أيضا أن الحل فقط في المفاوضات والحوار وأن يعيش الطرفان جنبا إلى جنب بسلام**»، تقول **سيما**.

أول مرة تعرفت فيها **سيما** على طرح مختلف لحل القضية الفلسطينية كانت في شهر أبريل/نيسان من العام 2007، حيث جاء لزيارتها أحد أبناء المخيم المعروف بنضاله وسمعته الحسنة وهو **نور شحادة**، الذي قال لها أن هناك جماعة من أصدقائه يرغبون بزيارتها لتهنئتها بعد خروجها من السجن.

تقول **سيما** «**جاء إلى البيت العديد من الأشخاص الفلسطينيين بينهم نساء، وأخبروني أنهم منخرطون في حركة تدعى «مقاتلون من أجل السلام»**، وأنهم بالتعاون مع بعض نشطاء السلام الإسرائيليين يقنعون الجنود بعدم الخدمة في الأراضي الفلسطينية».

تقول «**أعجبتني الفكرة، واعتبرت حينها ولا زلت أننا إذا نجحنا في ذلك فهذا معناه أن نقلل فرصة قتل فلسطيني على يد جندي إسرائيلي**». وتضيف «**دعتني المجموعة إلى اجتماع لهم في مدينة الرام قرب القدس في مايو/أيار من العام الحالي (2007)، وعندما وصلت تفاجأت أن القاعة مليئة بالعرب والإسرائيليين. كانت المرة الأولى التي أقابل فيها إسرائيليين لا يحملون السلاح ولا يرتدون زي الجنود، ورغم ذلك أصابتني غصة!!**».

وتكمل «**لقد صدمت فعلا، ولم أكن أتوقع أنني سألتقي بذات الناس الذين قتلوا زوجي وأخي واعتقلوني، لكن ثقتي بالمجموعة الفلسطينية وحب الفضول جعلني أكمل اللقاء حتى النهاية**».

في ذلك اليوم سمعت **سيما** قصصا مثقلة بالألم والدم لكن ليس على لسان الفلسطينيين هذه المرة، وإنما على لسان جنود إسرائيليين تركوا الخدمة في الجيش الإسرائيلي، أحدهم طيار قُتلت ابنته، والآخر جندي قُتلت شقيقته في عملية فلسطينية داخل إسرائيل.

تقول **سيما** «**لأول مرة في حياتي أسمع إسرائيليين يتألمون، ويشعرون بما أشعر به من ألم فقدان أحبائي**». وتضيف: «**فاجأني أيضا أنهم جميعا يتحدثون عن حق الفلسطينيين بإقامة دولتهم على الأرض الفلسطينية التي احتلت العام 1967، وهي ذات المبادئ التي تسعى لتحقيقها منظمة التحرير الفلسطينية**».

وتقول **سيما** «**طلب مني الجميع أن أروي قصتي لهم، وبعد أن انتهيت رأيت الدموع والألم على وجوه الجميع دون استثناء. دهشت أن إسرائيليين يبكون لما أحدثه إسرائيليون آخرون من دمار بحياتي. خرجت من اللقاء وأنا أسأل نفسي حتى متى ستستمر دائرة الموت والدم؟؟**» تعلق **سيما**، وتقول: «**أنا مع السلام العادل مثل كل الفلسطينيين، لكن دون اللجوء للعنف، ومع المقاومة لكن دون مزيد من الدماء**».

شاركت **سيما** في أربع جولات للمجموعة في الرام وطولكرم، وعناتا، ونزلة عيسى المنطقة المعزولة بالجدار في محافظة طولكرم، وتعرض فكرتها حول المقاومة اللاعنيفة على عائلتها وجيرانها، وصديقاتها الأسيرات المحررات.

«**لا يمكن أن نصنع المستقبل من الدمار والكراهية، أريد أن أبني مستقبلا لأطفالي دون موت ودم وخوف، أعمل ما أستطيعه لنشر السلام وأعرف أن هذا بالضبط ما يريده الكثيرون في فلسطين وإسرائيل**»، تقول **سيما** وهي تحضن طفلها الوحيد **مصطفى**. «**في هذه الإنتفاضة اعتقل إخوتي جميعهم وقضوا فترات متفاوتة في السجن أقلها عامان ونصف وأكثرها 14 عاما، واثنان منهم أصيبا بجراح، وزوجا شقيقتي الاثنتين أحدهما اعتقل والآخر أصيب بجراح**» ●



# سينما الحرب الإيرانية والبحث عن السلام

**مع اندلاع الحرب العراقية–الإيرانية في ثمانينيات القرن الماضي أصبحت الحرب من الموضوعات الأساسية التي تعالجها السينما الإيرانية، وهو أمر استمر مع انتهائها في العام 1989 غير أنه اتخذ منحى جديدا.** •••

سينما الحرب الإيرانية والبحث عن السلام

مهرزاد دانش*

**كان** أغلب أفلام الحرب الإيرانية أو ما عرف بسينما الحرب يتكون بالأساس من أفلام تحمل نهجا فكريا معينا، إذ كانت تميل إلى مناقشة أهمية الدفاع عن الوطن، واتباع أسلوب ملحمي بإبراز هدف طرد الغزاة خارج حدود البلاد. لكن ومع نهاية هذه الحرب في العام عام 1989، بدأت تظهر تدريجيا أفلام تحمل شعورا مَرضيا إزاء الحرب، وإن كان معظمها يسعى إلى تقييم الأبعاد الاقتصادية والسياسية والآثار الاجتماعية للحرب، وطرح قضية العدالة الاجتماعية.

وتعد هذه الأفلام، من حيث مضمونها، من بين الإنتاج السينمائي المهم ذي الصلة بالحرب، رغم أنها كانت تحمل إلى حد ما وجهة نظر سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أكثر منها إنسانية. أما نماذج الأفلام الإيرانية الخالصة التي تحمل شعورا مَرضيا إزاء الحرب، فيمكن إيجادها في الواقع في الأعمال الأقرب إلى خطط العمل وأهداف واهتمامات هيئات حفظ السلام التي تسعى إلى الحد من الحروب كاللجنة الدولية للصليب الأحمر التي تلتزم بتقديم الرعاية البدنية والنفسية لضحايا الحرب. فهل تعكس سينما الحرب الإيرانية الأنشطة الداعية للسلام والرامية إلى دعم ضحايا الحرب؟

أطفال يلعبون لعبة الحرب في «السلاحف يمكن أن تطير»

من فيلم «باشو، الغريب الصغير»

(*) Mehrzad Danesh ناقد سينمائي إيراني يعمل في مجلة «فيلم ماغازين»



ينهض الصليب الأحمر والهلال الأحمر ـ كما نعلم ـ بمهام محددة كالحد من خطر مخلفات الحرب القابلة للانفجار، والحد من توافر الأسلحة الصغيرة، وحماية الناس في حالات النزاع المسلح وغيره من أشكال الأعمال العدائية، وحماية المدنيين الذين يواجهون تهديدات الحرب (كالمذابح، واحتجاز الرهائن، والاعتداءات الجنسية)، وتقديم الرعاية الصحية، ودعم النازحين وطالبي اللجوء، وحماية النساء والأطفال بوصفهم ضحايا الحرب الأكثر ضعفا، ومساعدة أفراد الأسر التي فرقها النزاع على استعادة الروابط بينها، وتوفير مأوى مناسب لهم، وخلاف ذلك. ونجد الكثير من هذه الصور في ما أنتجته السينما الإيرانية. ويوضح ذلك أن السينما ـ بوصفها صناعة تشتمل على جانب معلوماتي وآخر فني، وقادرة على إحداث تأثير خطير فيمن تخاطبهم ـ قد أوصلت كثيرا من الرسائل الإنسانية الداعية للسلام في إيران. توضح هذه الأفلام الأضرار البدنية والنفسية وتلك المتعلقة بالأوضاع عامة التي يتكبدها ضحايا الحرب، فتحمل المشاهدين على التعاطف والشعور بالمسؤولية.

تذكرنا أفلام الحرب التي أخرجها مخرجون مثل **كاظم معصومي**، و**كيانوش أياري**، و**شهرام أسدي**، و**عزيزالله حميد نجاد**، و**محسن مخملباف**، و**محمد بزرك نيا**، و**إبراهيم حاتمي كيا**، و**علي رضا أمين**، سواء صراحةً أو ضمنا، بالمشاكل التي تثيرها الحرب كاللجوء، وانفجار الألغام، وتفرق أفراد الأسر، والانهيار النفسي للأشخاص، وتبعات استخدام الأسلحة الكيميائية، ...إلخ. وقد اخترنا من بين هذه الأفلام فيلمين بارزين لمناقشتهما هنا بمزيد من التفصيل للبحث في كيف تعكس السينما الإيرانية أهداف اللجنة الدولية للصليب الأحمر. وهذان الفيلمان هما: «**باشو، الغريب الصغير**» إخراج «**بهرام بيضائي**»، و«**السلاحف يمكن أن تطير**» إخراج **بهمن قبادي**. ويحاول هذان الفيلمان تحقيق الأهداف المذكورة سابقا، ويعدان في الوقت نفسه من بين الأفلام المهمة في السينما الإيرانية ومن أفضل إنتاجاتها.

يتسم الفيلمان ببنية ذات حبكة جيدة، وتعكس التزاما بضحايا حرب الثماني سنوات بين إيران والعراق، وتضع جوانب مختلفة من هذه القضية أمام جمهور السينما. وهما من بين الأعمال المناهضة للحرب لمخرجين إيرانيين يرون أن الحرب واقع مرير يؤدي إلى تدهور العلاقات بين البشر، وأنه ينبغي توفير الحماية لضحاياها من كل التهديدات التي تمثلها.

## باشو، الغريب الصغير

السيناريو والإخراج: **بهرام بيضائي**؛ مدير التصوير: **فيروز مالك زاده**؛ الممثلون: **سوسن تسليمي**، و**برويز بدار حسيني**، و**عدنان أفرويان**، وهو إنتاج العام 1986.

يبدأ الفيلم بمشاهد غارة جوية على جنوب إيران، يختبئ خلالها صبي في العقد الثاني من عمره يتحدث العربية يدعى «**باشو**» في شاحنة، بعد أن شاهد مقتل أسرته. يخلد إلى النوم، وعندما يستيقظ يجد نفسه في قرية في شمال إيران. يلجأ إلى منزل سيدة شابة تدعى «**ناي**» ذهب زوجها في رحلة، ولا يفهم أحدهما لغة الآخر. لا يلقى الصبي قبولا جيدا من سكان القرية الآخرين أيضا، ويهرب «**باشو**» عندما يعلم أن زوج «**ناي**» لا يريد بقاءه في المنزل. لكن «**ناي**» تبحث عنه وتجده تحت المطر وتعيده إلى المنزل. وتصاب ناي بالبرد فيقوم «**باشو**» بدلا منها بالأعمال المنزلية، ويصلي من أجلها بالأسلوب التقليدي الجنوبي. تكتب «**ناي**» خطابا إلى زوجها وتصف له كيف كان وجود باشو مفيدا. يعود زوجها إلى الدار بعد فترة وقد فقد إحدى ذراعيه، ويقبل تبني «**باشو**» ابنا لهما. ويتعاونون جميعا في إبعاد الخنازير البرية خارج المزرعة.

يركز فيلم «**باشو، الغريب الصغير**» على المآسي الإنسانية من منظور العائلة. وهو يبدأ بعدة انفجارات لتكون سببا منطقيا لهروب الشخصية الأساسية، حيث إنه فقد كل أفراد أسرته. ويمتلئ الطريق الذي يسلكه من أقصى جنوب إيران إلى أقصى شمالها بالآثار القديمة. فالحرب ظاهرة لا يمكن وقفها إلا باستخدام التراث الثقافي والهوية الإنسانية. في فيلم «**باشو، الغريب الصغير**»، يبحث بيضائي عن الهوية الإنسانية في الجوهر العائلي، الذي توجد فيه امرأة. العلاقات الإنسانية، الحب الأموي، الشعور بالضياع في مكان غريب، و.. تتشكل كلها بناء على عامل التهديد ذاته وهو الحرب. ويركز بيضائي من البداية على مصير أحد ضحاياها. وفي هذه الصورة من الحرب، لا ينبغي أن يبحث المرء عن بطل. فالحرب واقع مر ينتج عنه في كل مكان ضحايا لا أبطال. يصف بيضائي ضحيته من جانبين هما: القضاء على أفراد أسرته، وهدم منزله. ومع حضور «**باشو**» إلى شمال إيران، تُبرز وحدته هذين الجانبين بشكل أقوى، حيث يقابل هو المشرد أناسا آخرين لديهم أسرة ومنزل. بمعنى آخر أنهم يستمتعون بمأوى آمن. غير أن هذا ليس سوى جانب واحد من جوانب القصة، فالحرب لم تؤذ «باشو» وحده، بل اخترقت أقصى مناطق البلاد أيضا. فزوج ناي غير موجود بالبيت، وعليها القيام بدوري الأم والأب لأطفالها، وهو ليس بالشكل الأسري الطبيعي، ويرجعه بيضائي إلى الحرب. لقد ذهب زوج «**ناي**» إلى أرض المعركة، مما أسفر عن بعده عن أسرته وفقدانه لذراعه. تعد «**ناي**» من ناحية الشخصية الأساسية في الفيلم، رغم أنه يحمل اسم «**باشو**»، ويبدأ به أيضا. ويثير لجوء «**باشو**» على مقربة من «**ناي**» مشكلات كثيرة، مثل التواصل اللغوي بينهما. يرفض سكان القرية «**باشو**» بسبب لغته ولون بشرته، ماعدا «**ناي**» التي تحاول فهم لغته وإقامة علاقة إنسانية معه. إن الحرب في الواقع عامل يؤدي إلى الاغتراب، ولكن يمكن إذابته من خلال الحوار. في الوقت نفسه، يستخدم بيضائي أفراد أسرة «**باشو**» بطريقة رائعة، لاسيما صورة أمه. فهو يتخيل حضورها دائما، في الوقت الذي تندمج فيه بالتدريج صورتا أمه وناي، حتى تصبحا في النهاية شخصا واحدا. وفي النهاية، توضح أم «**باشو**» الطريق لـ«**ناي**» (التي تصبح أمه من الآن فصاعدا).

يمتلئ الفيلم بعناصر تهديد حاضرة طوال الوقت، يعكس كل منها واقع الحرب. حرب مدمرة تدفع «**باشو**» بعيدا عن وطنه، وتعكس نفسها في ما بعد في صورة غربان تحوم فوق منزل «**ناي**»، أو خنازير برية تهاجم مزرعتها. كما لو أن كلا من «**باشو**» و«**ناي**» يعانيان المشكلة نفسها. كلاهما ضحية للحرب يكملان بعضهما البعض، فهذه هي النقطة التي تحل فيها العلاقات الإنسانية محل التهديد غير الإنساني للحرب. تتبع ناي غريزتها الإنسانية وتتخذ الخطوة الأولى •••

لدعوة «**باشو**»، ولكنه يفر هاربا. بعد ذلك، عندما تريد ناي الرحيل، يتبعها «**باشو**». تتحدث ناي بلهجة «**جيلاني**» المستخدمة في بعض أجزاء من شمال إيران، ويرد عليها «**باشو**» بالعربية. لا يفهمان بعضهما البعض، ولكن يشعر كل منهما بألم الآخر. بعد ذلك، يصف «**باشو**» حالته وحالة أسرته إلى «**ناي**» باستخدام لغة الجسد، وهي تعبر عن تعاطفها معه. وهكذا، يبدأ بيضائي الفيلم بالعداء ويتحرك به نحو الصداقة. يبدأ بالنزوح ويقترب من إحدى الأسر. يفقد «**باشو**» أسرته الصغيرة في الحرب، ولكنه في النهاية ينضم إلى أسرة أكبر، أسرة في حجم البلد كله.

يصف **بيضائي** فيلم «**باشو، الغريب الصغير**» فيقول: «**هذا فيلم عن أولئك الذين لم يشاركوا في الحرب قط، ولكنهم وجدوا أنفسهم في خضمها، وعليهم تحمل تبعاتها. وهو فيلم عن النزوح والهجرة، اللذين يؤديان إلى الاغتراب. في الوقت الذي تتهاوى فيه أسرة في بداية الفيلم، تتشكل أسرة جديدة في نهايته، أو بالأحرى يتشكل شكل جديد من الأسرة**».

لم تكن نية **بيضائي** جعل الفيلم أقرب إلى حالة حرب من خلال بدئه بغارة جوية، بل كان هدفه هو إظهار تبعات الحرب على الأشخاص الأكثر ضعفا. ولأن الأطفال يشكلون الطبقة الأساسية لهذا المجتمع الضعيف، سعى **بيضائي** إلى خلق وظيفة اجتماعية محددة من خلال الفيلم، وهي تشجيع الناس على تبني الأيتام من ضحايا الحرب. لا توجد شخصية سلبية في فيلم «**باشو، الغريب الصغير**»، حتى رد فعل أهل القرية إزاء «**باشو**» لم يكن بسبب كونهم أشرارا، ولكن كان نتيجة لإهمال مجتمع ريفي بدائي بسيط. لذلك أمكنهم الاتفاق في النهاية. فيدرك الأب أنه مع فقدان ذراعه يحتاج إلى «**باشو**»، ويدرك باشو أنه ليس لديه مكان آخر يلجأ إليه. والآن، يقاتل «**باشو**» (الذي يعنى بالفارسية الإنسان الخالد) الخنازير البرية مع أسرته الجديدة، ولكنه قتال يتفق مع نمط الحياة الطبيعي لبني الإنسان، قتال يضمن بقاءهم على قيد الحياة، وليس حربا تشن ضد المبادئ الإنسانية الأساسية للطبيعة التي يسفر عنها دمار البشر وكل ما لديهم (أجسادهم، وأرواحهم، وكل ما يصنعه الإنسان). فيلم «**باشو**» يهدف إلى امتداح السلام، وهو لا يعطينا دروسا أخلاقية، بل يعكس هذه الحقيقة في إطار واقع مرير اسمه الحرب.

## السلاحف يمكن أن تطير

إخراج: «**بهمن قبادي**»، سيناريو: «**بهمن قبادي**»، و**محمد رضا كاتب**، و«**سبيده شاملو**»؛ مدير التصوير: «**شهريار أسدي**»، تمثيل: «**سوران إبراهيم**، و«**أواز لطيف**»، وهو إنتاج إيراني عراقي مشترك، 2005.

تقع أحداث الفيلم في العراق، قبيل هجوم الجيش الأمريكي. «**سوران**» طفل كردي في العقد الثاني من عمره، يحاول إقناع أهل قريته بشراء وتركيب أطباق أقمار اصطناعية من جانب، ويتزعم جماعة من الأولاد لتطهير حقول ألغام لبيع الألغام التي يجمعونها إلى أحد السماسرة من جانب آخر. في الوقت نفسه، يقابل «**سوران**» صبية غريبة في مثل سنه تدعى «**آكرين**» تحمل بين ذراعيها طفلا أعمى اسمه «**ريكا**» ويصاحبها أخوها المعوق واسمه «**هنكاو**»، الذي يمكنه التنبؤ أحيانا بالمستقبل. و«**آكرين**» في الواقع أم **ريكا** بعد أن اغتصبها جنود عراقيون، وهي حزينة وتتطلع إلى فرصة لقتل نفسها هي والطفل. «**سوران**» وقع في حب «**آكرين**» (ولكنه لا يعرف شيئا عن الاغتصاب ويعتقد أن «**ريكا**» أخوها)، ويحاول استخدام جميع الحيل المتاحة لإيقاعها في حبه، حتى عندما تركت «**آكرين**» **ريكا** في وسط حقل ألغام ليموت، أنقذه «**سوران**» واضعا حياته هو في خطر وأصيب.

يشير «**سوران**» إلى بركة ماء ويقول **لآكرين** إن بعض الأطفال قد غرقوا فيها. بعد ذلك، يتنبأ «**هنكاو**» بالهجوم العسكري الأمريكي على العراق، يخبر «**سوران**» أهل قريته فيقتنعون بمتابعة الأخبار على المحطات الفضائية. ينحل فريق «**سوران**» لجمع الألغام بعد اندلاع الحرب على العراق. تغرق «**آكرين**» ولدها في البركة الغامضة وتنتحر هي نفسها بالقفز من فوق حافة جبل. يعطي **هنكاو** حذاء «**سوران**» إلى «**آكرين**»، ثم يهيم على وجهه. «**سوران**» يفقد الثقة في أن الأمريكيين سينقذون بلاده، ويفقد الأمل ويتخذ طريقا معاكسا (من الحرب).

فيلم «**السلاحف يمكن أن تطير**» مرثية عاطفية تدور حول الدمار الذي تسببه الحرب؛ الدمار النفسي والمادي. إصابات من جراء الألغام، واغتصاب، وضحايا الهجوم الكيميائي، ونزوح، واكتئاب، ومعضلات نفسية لا تحصى تظهر في صورة مآسي الحرب. تترك مشاهد الفيلم أثرا عاطفيا قويا في نفس المشاهدين. فروح المرارة التي تسيطر على الفيلم، إلى جانب حس ساخر ناتج عن بعض المشاهد الكوميدية، يوضحان التزام مخرج الفيلم بالتحذير من العواقب الوخيمة للنزاعات المسلحة. وهو يحاول التأكيد المرة تلو الأخرى على ضرورة تقليص نطاق ومدى الآثار التي تخلفها الحرب، واستعادة الصحة البدنية والنفسية للمتضررين من جرائها. ويتبع «**قبادي**» منظورا إنسانيا شفوقا إزاء المتضررين من الحروب لا سيما الأطفال. ودون بذل جهد لإظهار نزوعه نحو أي أيديولوجية محددة، تمكن من إدارة الأمور على أحسن وجه لتوضيح مأساة السكان الذين يعيشون في بؤس الحرب وما بعد الحرب.

يدور الفيلم حول ثلاث شخصيات رئيسية. أولا هناك «**سوران**» الذي ينتمي إلى الآن والحاضر، والذي يكسب عيشه من جمع الألغام وتجهيزات استقبال البث الفضائي. وهو شخصية براغماتية أكثر منها ذاتانية. يلتقي «**سوران**» فجأة بشخصين، كل منهما عكس الآخر. **أغرين** تعيش في الماضي، وهي تعيش بذكرى مريرة بسبب ما حدث لها في الماضي، ولكنها ترغب في التخلص من هذا العبء. والشخص الأخر هو **هنكاو**، الذي يتمتع بقدرة مريبة على التنبؤ بالمستقبل والذي يختلف في استشرافه للمستقبل عن **أغرين** التي ترى في الولايات المتحدة مصدرا للشقاء، بينما يرى **هنكاو** أن الولايات المتحدة تقدم نافذة أمل لبلاده. لقد أوقعت الحرب الفوضى في شخصيات هذا الثالوث.

وبالمقارنة بين أعمال العدوان يقدم هذا الفيلم وصفا لما خلقته الحرب من فوضى وبؤس.

إن عنوان الفيلم الجميل والشاعري به من الغموض ما يمكن تفسيره بأشكال مختلفة. قد يقصد بالسلحفاة **آكرين** التي تحمل **ريكا** دائما كترس السلحفاة المجبرة على حمله والتي تقفز في آخر الأمر من على جبل منتحرة. أو ربما تشير السلحفاة إلى **ريكا** الذي يذهب إلى المياه مثل السلحفاة ويغرق.

**سوسن تسليمي هي «ناي» في فيلم «باشو، الغريب الصغير»**

وقد يكون كل الأطفال في هذا الفيلم سلاحف صغيرة منتشرة هنا وهناك وسط الحرب، يبحثون عن مأوى، أي عن ترس السلحفاة. الفيلم مليء بالمفارقات. فالأطفال تجني أموالا عن طريق جمع الأسلحة المميتة والألغام وبيعها.

إن الهدف من كل هذه التناقضات هو توضيح مدى تعقيد حياة الأطفال، وهو الأمر الذي جعلهم ينضجون قبل الأوان بشكل يفوق سنهم. إن **أغرين** طفلة ولكنها أصبحت أما، و«**سوران**» مراهق لكنه يتمتع بشخصية قوية وقدر قليل من التعليم، وعلى هنكاو أن يرعى أخته وابنها. لقد جعلتهم الحرب يكبرون سريعا، ولم تعطهم سوى المرض والبؤس واليأس الشديد.

إن هذه الشخصيات الثلاث هي خير مثال على قصة أرض تدمى من جراء الحرب والعنف. فـ «**سوران**» مراهق خبيث يتلاعب بالقرويين السلبيين مستغلا جهلهم. و**هنكاو** يقدم حالة ذهنية معقدة ومشوشة لشخص كان يوما براغماتيا. وأخيرا هناك **أغرين** التي تحمل جراحا نفسية بسبب ما عانته على يد الجنود العراقيين أثناء الحرب، إلى أن تصل إلى النقطة التي تتخلى فيها عن حبها الأمومي لطفلها الأعمى بسبب ما تحمله من كراهية واحتقار للمعتدين وتعبر عن ذلك بإغراق وليد هذه العلاقة غير الشرعية. وهي في ذلك تجسد الأم أو العشيرة أو الأرض.

خرج **بهمن قبادي** بموضوع هذا الفيلم عند زيارته للعراق بعد شهر من سقوط النظام العراقي السابق بينما كان يعد لتصوير فيلمه المعنون «**أصوات من أرض وطني**». وفي غضون ذلك صور كثيرا من المشاهد التي وقعت عليها عيناه مثل حقول القذائف والدبابات والأطفال مبتوري الأطراف وحقول الألغام الممتدة على الحدود، والأطفال الذين يجمعونها. وعندها خطر له أن يخرج فيلما يتناول هذه المسألة. يقول **قبادي**: «**لقد ذهبت للعراق لأخرج فيلما مناهضا للحرب، ومن الطبيعي أن يكون مثل هذا الفيلم حزنا وصادما للجمهور حيث كان عليه أن يعكس مثل هذه المرارة. وإذا أردت أن أقدم صورة لكل الوقائع المريرة التي شهدتها، لما كان للفيلم أثر جيد على الجمهور، بل لربما كرهوه. وهكذا قررنا أن ندخل بعض المشاهد الكوميدية لنخفف من مرارة الواقع. أردت أن يشعر المشاهدون وهم يغادرون قاعة العرض بأن هذه تراجيديا لا تنسى ومع ذلك يرون أن الصداقة التي جمعت الأطفال ظريفة ومضحكة**».

لقد اتهم بعض النقاد في إيران **قبادي** باستغلال إعاقة الأطفال ومآسيهم للترفيه السينمائي، فأجاب على ذلك قائلا: «**لقد صنعت فيلما مناهضا للحرب في العراق، فيلما عن الألغام وتبعات الحرب. ولو لم أظهر هذه المشاهد، لما كان للفيلم الأثر المرغوب على الجمهور. إن يد هنكاو المبتورة لمن العناصر الجذابة في الفيلم. لم أكن أتعاطف على هذا النحو من قبل مع مثل هؤلاء الأشخاص، ولكننا رتبنا بعد الفيلم لكي يحصل الطفل الضرير على العلاج وسوف نأخذ هنكاو لألمانيا حيث يمكنه أن يحصل على يد اصطناعية. عندما يذهب المرء إلى بلد يفقد فيها الناس أيديهم وأذرعهم بسبب الألغام المنفجرة، يصعب عليه ألا يرغب في أن يخبر الناس عما رآه**».

«**السلاحف يمكن أن تطير**» عمل فني مؤثر يتناول ضحايا العنف وأعمال العدوان التي يرتكبها الفاعلون السياسيون، والمشهد الأخير من الفيلم الذي يولي «**سوران**» فيه ظهره للجنود الأمريكيين ويمشي في الاتجاه المعاكس يؤكد على نفس النقطة. فإن الأحذية تحمل الآن خبرة مريرة، فهي تحمل قدم شخص شهد موتا وتفجيرات وكراهية ومذابح وبؤسا نفسيا. وإذ يتحرك الآن في الاتجاه المعاكس للجنود الذين ظن يوما أنهم منقذوه، فإنه يمشي باتجاه أرض في حالة يأس كاملة ●

# البكاء بين يدي زرقاء اليمامة

أمل دنقل*

أيتها العرافة المقدسةْ..
جئت إليك .. مثخنًا بالطعنات والدماءْ
أزحف في معاطف القتلى، وفوق الجثث المكدسة
منكسر السيف، مغبر الجبين والأعضاء.
أسأل يا زرقاءْ...
عن فمك الياقوت، عن نبوءة العذراء
عن ساعدي المقطوع.. وهو ما يزال ممسكا بالراية المنكسة
عن صور الأطفال في الخوذات.. ملقاة على الصحراء
عن جاري الذي يهم بارتشاف الماء..
فيثقب الرصاص رأسه .. في لحظة الملامسة!
عن الفم المحشو بالرمال والدماء!!
أسأل يا زرقاء..
عن وقفتي العزلاء بين السيف.. والجدارْ!
عن صرخة المرأة بين السبي . والفرارْ ؟
كيف حملت العار..
ثم مشيت؟ دون أن أقتل نفسي؟! دون أن أنهار؟!
ودون أن يسقط لحمي .. من غبار التربة المدنسة؟!
تكلمي أيتها النبية المقدسة
تكلمي .. بالله .. باللعنة.. بالشيطان
لا تغمضي عينيك، فالجرذان..
تلعق من دمي حساءها.. ولا أردها!
تكلمي .. لشد ما أنا مهان
لا الليل يخفي عورتي.. ولا الجدران!
ولا اختبائي في الصحيفة التي أشدها..
ولا احتمائي في سحائب الدخان!
.. تقفز حولي طفلة واسعة العينين.. عذبة المشاكسة
(– كان يقص عنك يا صغيرتي .. ونحن في الخنادق
فنفتح الأزرار في ستراتنا .. ونسند البنادق
وحين مات عطشا في الصحراء المشمسة..
رطب باسمك الشفاه اليابسة
وارتخت العينان!)
فأين أخفي وجهي المتهم المدان؟
والضحكة الطروب: ضحكته..
والوجه.. والغمازتان!؟

♦♦♦♦

أيتها النبية المقدسة..
لا تسكتي.. فقد سَكتُّ سنةً فسنةْ
لكي أنال فضلة الأمانْ
قيل لي «اخرسْ..»
فخرست .. وعميت .. وائتممتُ بالخصيان!
ظللت في عبيد «عبس» أحرس القطعان
أجترُّ صوفها..
أردُّ نوقها..
أنام في حظائر النسيان
طعامي: الكسرة.. والماء.. وبعض التمرات اليابسة.
وها أنا في ساعة الطعانْ
ساعة أن تخاذل الكماةُ.. والرماةُ.. والفرسانْ
دُعيت للميدان!
أنا الذي ما ذقت لحم الضأن ..
أنا الذي لا حول لي أو شأن..
أنا الذي أُقصيت عن مجالس الفتيان،
أدعى إلى الموت.. ولم أدع إلى المجالسة!
تكلمي أيتها النبية المقدسة
تكلمي .. تكلمي..
فها أنا على التراب سائلٌ دمي
وهو ظمئ.. يطلب المزيدا.
أسائل الصمت الذي يخنقني:
« ما للجمال مشيُها وئيدا.. ؟!»
«أجندلا يحملن أم حديدا.. ؟!»
فمن تُرى يصدقني؟
أسائل الركّع والسجودا
أسائل القيودا:
«ما للجمال مشيُها وئيدا.. ؟!»
«ما للجمال مشيُها وئيدا.. ؟!»

♦♦♦♦

أيتها العرافة المقدسة..
ماذا تفيد الكلمات البائسة؟
قلتِ لهم ما قلتِ عن قوافل الغبارْ..
فاتهموا عينيكِ، يا زرقاء، بالبوارْ!
قلتِ لهم ما قلتِ عن مسيرة الأشجار..
فاستضحكوا من وهمكِ الثرثار!
وحين فوجئوا بحد السيف: قايضوا بنا..
والتمسوا النجاة والفرار!
ونحن جرحى القلب،
جرحى الروح والفم.
لم يبق إلا الموتُ..
والحطامُ..
والدمارْ..
وصبية مشردون يعبرون آخرَ الأنهارْ
ونسوة يُسقْن في سلاسل الأسرْ،
وفي ثياب العار
مطأطئات الرأس.. لا يملكن إلا الصرخات التاعسة!

.....

ها أنت يا زرقاءُ
وحيدةٌ.. عمياء!
وما تزال أغنيات الحب.. والأضواءْ
والعربات الفارهاتُ.. والأزياءْ!
فأين أخفي وجهي المُشوّها
كي لا أعكّر الصفاء.. الأبلة.. المموّها.
في أعين الرجال والنساءْ!؟
وأنت يا زرقاء..
وحيدة .. عمياء!
وحيدة .. عمياء!

1967–6–13

(*) شاعر مصري (1940–1983) صادف الحادي والعشرين من مايو/أيار الماضي الذكرى الخامسة والعشرين لرحيله.

ICRC

بغداد/الكويت:

## إعادة رفات 63 عراقيًا من العربية السعودية

تحت رعاية اللجنة الدولية للصليب الأحمر أعيدت في أبريل/نيسان الماضي من المملكة العربية السعودية، رفات 62 جنديًا عراقيًا قتلوا خلال حرب الخليج في العام 1991، بالإضافة إلى رفات طفلة عراقية كان عمرها سبعة أشهر وتوفيت حينها في مخيم للاجئين.

وحضر مندوبو اللجنة الدولية، بدعوة من السلطات السعودية، عملية إخراج الجثث. ثم رافقوا الجثامين التي نقلت عبر الكويت بمساعدة السلطات الكويتية، وسلموها إلى السلطات العراقية عند الحدود الكويتية، على أن تبقى إلى حين معرفة أماكن وجود العائلات، في مركز الزبير الذي أنشأته السلطات العراقية عام 1991 من أجل تخزين الرفات التي لم يتم التعرف على هويات أصحابها، وتلك التي لم يطالب أحد بتسلمها، وهي تعود إلى جنود عراقيين قتلوا في الميدان. وتقول مندوبة اللجنة الدولية السيدة **جميلة همامي**:

**«يتوجب على السلطات أن تبذل ما في وسعها للعثور على العائلات وإبلاغها عن الأمر بأسرع ما يمكن. فهي تعيش في حيرة أليمة منذ أكثر من 17 عامًا».**

هذا وتواصل اللجنة الدولية تقديم دعمها لكشف مصير حوالي 1500 شخص، وهم في الأساس من الكويتيين والعراقيين والسعوديين الذين لا يزالون في عداد المفقودين منذ حرب الخليج في العام 1991. وتقوم بهذه المهمة من خلال توفير الخبرات التقنية والعمل بصفتها وسيطًا محايدًا وغير متحيز. وقد ترأست اللجنة الدولية كلًا من اللجنة الثلاثية ولجنتها التقنية الفرعية منذ أن أنشئت هاتان اللجنتان عامي 1991 و1994 على التوالي، من أجل معرفة مصير الذين فقدوا أثناء حرب الخليج. وقد ساعدت اللجنتان منذ العام 2003 في الكشف عن مصير 293 شخصًا.

الخرطوم:

## توفير المياه النظيفة ودعم 130000 نازح في دارفور

يشكل موسم الجفاف الذي يستمر تقريبا من شهر أكتوبر/تشرين الأول إلى يونيو/حزيران، مصدرا للقلق في دارفور لأن السكان يعتمدون على المياه من المصادر الجوفية لتلبية احتياجاتهم ولماشيتهم عندما تجف المجاري المائية الموسمية. وتعمل اللجنة الدولية على إعادة تأهيل شبكات الإمداد بالمياه، وإصلاح المضخات اليدوية والآبار العميقة، وتساعد على حفر الآبار يدويا. كما تساعد أيضا على بناء مستجمعات مياه الينابيع وإصلاح مضخات الري التي تمكن المجتمعات المحلية من ضمان ري حقولها بطريقة ملائمة. ومنذ بداية العام 2008، أعادت اللجنة الدولية تأهيل 203 نقطة من نقاط المياه الرئيسية (191 مضخة يدوية، و11 حوضا للمياه، ومستجمع لمياه الينابيع) تخدم حوالي 277,800 ألف شخص.

هذا وقد مددت اللجنة الدولية للصليب الأحمر الدعم الذي تقدمه إلى حوالي 130 ألف نازح في مخيم قريضة، أحد أكبر مخيمات النازحين في دارفور حتى نهاية العام. وأصبحت اللجنة الدولية المنظمة الإنسانية الرئيسية الموجودة في هذا المخيم منذ الحادث الأمني الذي وقع في ديسمبر/كانون الأول 2006 واضطرت على أثره كل المنظمات الإنسانية الأخرى تقريبًا، إلى المغادرة. وتقدم اللجنة الدولية إلى سكان المخيم المواد الغذائية، ومواد الإيواء، والمستلزمات المنزلية، والمياه النظيفة، وخدمات الصرف الصحي، والرعاية في مجالي الصحة والتغذية. وإضافة إلى ذلك، يساعد مندوبو اللجنة الدولية النازحين على الاتصال بأفراد عائلاتهم الذين انقطعت أخبارهم عنهم، ويجمعون الادعاءات عن انتهاكات القانون الدولي الإنساني من أجل مناقشتها في حوار سري مع الأطراف المعنية. وقد وصل إلى قريضة، منذ نهاية العام الماضي، 9000 نازح آخر.

مقديشو:

## اللجنة الدولية تنظم عملية إغاثة لنصف مليون شخص

يواجه مئات الآلاف من الصوماليين نقصًا في الماء والغذاء أصبح يشكل خطرًا على حياتهم، نتيجة تصاعد النزاع المسلح وآثار الجفاف الخطير الذي ضرب مؤخرًا وسط الصومال. ويزيد من تدهور الأوضاع المستوى العالي من التضخم وارتفاع أسعار السلع على الصعيد العالمي لاسيما بالنسبة إلى مستوردات أساسية مثل المواد الغذائية والوقود.

أمام هذه الأوضاع، سعت اللجنة الدولية إلى تكييف عملياتها بحيث تركز حصرًا تقريبًا على تقديم الإغاثة على نطاق واسع للأسر النازحة والمجموعات المحلية المضيفة. وتخطط اللجنة الدولية، خلال الأسابيع القادمة لتوزيع حصص غذائية تكفي لأربعة أشهر على 435 ألف شخص وذلك بتنسيق وثيق مع برنامج الأغذية العالمي ومنظمة "كير" الدولية. وسيتسلم حوالي150 ألف شخص المستلزمات المنزلية الأساسية مثل البطانيات والمواد اللازمة لتشييد مأوى ولوازم المطبخ.

وبين أواسط شهر فبراير/شباط ومايو/أيار وزع 2,3 مليون لتر من الماء يوميًا على 470 ألف شخص في أكثر من 400 مكان. وتسلم أكثر من 268 ألف شخص المواد اللازمة لتشييد مأوى والمستلزمات المنزلية الأساسية. بينما تسلم ما يقارب من 100 ألف شخص حصصًا غذائية تكفي لشهر واحد.

ICRC

القدس:

## حملة لسلامة العاملين في الخدمات الطبية وندوات لأفراد الشرطة والصحافيين

بعد تكرر حالات عدم الاحترام المتزايدة للمهام الطبية، أعلنت اللجنة الدولية للصليب الأحمر، بالتعاون مع جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ووزارة الصحة الفلسطينية، في شهر آذار/مارس الماضي، عن إطلاق حملة توعية في الأراضي الفلسطينية المحتلة لتسليط الضوء على ضرورة حماية عمل الكوادر والمنشآت الطبية.

تأتي الحملة في نطاق سلسلة من المبادرات التي تشمل حلقات تدريبية وندوات ومسابقات ونشاطات للطلاب واستمرار الحوار الثنائي لتعزيز التوعية فيما يتعلق بالتعهدات تجاه المهام الطبية.

وفي هذا الإطار، أطلقت اللجنة الدولية وجمعية الهلال الأحمر الفلسطيني وزارة الصحة الفلسطينية مسابقة مفتوحة للجمهور الفلسطيني، تدعو المشاركين إلى إرسال القصص القصيرة والصور الفوتوغرافية التي تعبر عن الموضوع التالي: «يجب احترام وحماية أفراد الخدمات الطبية في جميع أوقات النزاع». كما تنظم الأطراف الثلاثة مؤتمرات في الجامعات الرئيسية في الضفة الغربية وقطاع غزة حول الموضوع نفسه.

وفي الرابع من يونيو/حزيران الماضي عقدت اللجنة الدولية حلقة دراسية في القدس بعنوان "جرائم الحرب، ماذا على الصحفيين أن يعرفوا" حضرها عدد من الصحفيين الإسرائيليين والفلسطينيين والأجانب. شارك في الحلقة الدراسية، التي قدمت القانون الدولي الإنساني كأداة عمل للتقارير الصحافية في أوضاع النزاع والحرب، وحاضر فيها السيدان **أنتوني دواركن**، المدير التنفيذي لمشروع جرائم الحرب، و**أليستر ماكدونالد**، مدير مكتب وكالة «رويترز» للأنباء في إسرائيل والأراضي الفلسطينية.

وفي مايو/ أيار عقدت اللجنة الدولية ندوة في الضفة الغربية وأخرى في العاصمة الأردنية عمان حضرها حوالي 750 من ضباط وأفراد الشرطة المدنية الفلسطينية بهدف تعزيز التوعية بالقانون الدولي الإنساني وقانون الحرب فيما يتعلق بسير الحياة اليومية للسكان المدنيين.

بيروت

## إعادة محتجز ونقل رفات ومعرض في المطار

في إطار دورها الإنساني كوسيط محايد عملت اللجنة الدولية بداية شهر يونيو/حزيران على تيسير نقل المحتجز **نسيم نسر** المفرج عنه من إسرائيل إلى لبنان، وجرت عملية التسليم في منطقة الناقورة على الحدود الإسرائيلية اللبنانية بحضور مندوبي اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

وفي الوقت نفسه استلمت اللجنة الدولية من مسؤولي حزب الله عند الحدود صندوقًا يحتوي على رفات بشرية مجهولة الهوية وطلبوا منها إعادتها إلى إسرائيل، فعملت اللجنة في حينه على تسهيل تسليم الرفات إلى السلطات الإسرائيلية.

وفي مايو/أيار تلقى فريق من شباب الصليب الأحمر اللبناني ومتطوعين من جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني في لبنان تدريبا متخصصا من جانب اللجنة الدولية حول كيفية إجراء عمليات تقييم. لتحسين أداء الموظفين والمتطوعين في الجمعيتين الوطنيتين في أوقات الأزمات وتمكينهم من إجراء تقييم دقيق وسريع لاحتياجات السكان.

كجزء من الأنشطة الرامية إلى تعزيز القانون الدولي الإنساني، نظمت اللجنة الدولية في أبريل/ نيسان الماضي لمدة أربعة أيام ورشة عمل لمعلمي المدارس المتوسطة في جنوب لبنان لتعريفهم بالقانون الإنساني الدولي من ضمن برنامج استكشاف القانون الإنساني. وشارك فيها 22 معلما من المدارس الخاصة والرسمية فضلا عن أساتذة من مدارس الأونروا في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين جنوب لبنان

كما نظمت اللجنة الدولية لمدة أسبوع معرضا للصور في قاعة الوصول في مطار بيروت الدولي، تبين أثر الذخائر العنقودية على السكان المدنيين والمعاناة التي تسببها للضحايا.

كما نظمت معرضا آخر بعنوان «40 عاما في لبنان» في غرفة الصناعة في مدينة زحلة في البقاع.

مسقط:

## ندوة للصحفيين عن القانون الدولي الإنساني

في إطار جهودها لتعزيز المعرفة بقواعد القانون الدولي الإنساني بين أوساط العاملين في المجال الإعلامي، نظمت البعثة الإقليمية للجنة الدولية للصليب الأحمر لدول مجلس التعاون الخليجي وإدارة تحرير جريدة «الوطن» في سلطنة عمان ندوة حول القانون الدولي الإنساني في التاسع من يونيو/حزيران وعلى مدار ثلاثة أيام، شارك فيها حوالي 15 شخصا من الصحفيين والمحررين في جريدة «الوطن». تطرقت محاور هذه الندوة إلى التعريف بالقانون الدولي الإنساني، قواعده ومبادئه الرئيسية، ونطاق وآليات تطبيقه، والأشخاص والأعيان المحمية، وحماية الصحفيين، وأوجه الشبه والاختلاف بين القانون الدولي الإنساني وقانون حقوق الإنسان بالإضافة إلى العلاقة بين اللجنة الدولية والإعلام. تخلل الندوة عرض لبعض الحالات التي يتم فيها تطبيق هذا القانون.

يذكر أن البعثة الإقليمية للجنة الدولية قد أجرت ندوات مماثلة لصحفيين في الكويت والبحرين والإمارات وقطر.



صنعاء:

## تعزيز المساعدات لتلبية الاحتياجات المتزايدة في صعدة

التمست اللجنة الدولية من الجهات المانحة مبلغ 8,5 مليون فرنك سويسري إضافية لميزانيتها المخصصة لليمن من أجل تلبية الاحتياجات المتزايدة الناجمة عن القتال الدائر في محافظة صعدة في الشمال والذي أدى إلى تفاقم ظروف معيشة السكان. وتؤدي هذه الزيادة إلى ارتفاع الميزانية الأصلية لعام 2008 بأكثر من الضعف لتبلغ بذلك 14 مليون فرنك سويسري.

ويساور اللجنة الدولية القلق إزاء الوضع الأمني السائد وظروف معيشة المدنيين المتأثرين بالقتال الدائر، وهي تناشد أطراف النزاع احترام القانون الدولي الإنساني. وتحث على وجه الخصوص الأطراف على التمييز في جميع الأوقات بين المدنيين والأشخاص الذين يشاركون مباشرة في الأعمال العدائية ومعاملة جميع المصابين معاملة إنسانية.

وتعتزم اللجنة الدولية استخدام الأموال الإضافية لزيادة توفير المواد الغذائية والمياه والمأوى والمستلزمات المنزلية الأساسية والدعم الطبي في جميع مناطق محافظة صعدة. وهي مستعدة أيضا لتقديم العلاج الجراحي المنقذ للأرواح إلى الجرحى عند الاقتضاء.

وعمل موظفو اللجنة الدولية خلال الأربعة عشر شهرا الماضية مع الفرع المحلي لجمعية الهلال الأحمر اليمني من أجل توزيع مساعدات الطوارئ على قرابة 120 ألف شخص، وسهلوا حصول آلاف الأشخاص الآخرين على المياه النظيفة الصالحة للشرب.

فاس:

## حماية الكرامة الإنسانية في القانون الدولي الإنساني والفقه الإسلامي

ICRC

للسنة الثالثة على التوالي نظمت «جامعة القرويين» الإسلامية واللجنة الدولية للصليب الأحمر في 3 و4 يونيو/ حزيران حلقة دراسية حول «حماية الكرامة الإنسانية في أوقات النزاعات المسلحة في القانون الدولي الإنساني والفقه الإسلامي». وهو الموضوع نفسه الذي نوقش أيضا خلال يوم دراسي في كلية أصول الدين في تطوان يوم 5 يونيو/حزيران.

وخلال الأيام الثلاثة، شدد المحاضرون في كلماتهم أمام أكثر من مائة طالب في الدراسات العليا، على الطابع العالمي للقانون الدولي الإنساني وتكامله مع الشريعة الإسلامية في الحرب (فقه السير).

يذكر أن هاتين الدورتين سبقهما في 2 يونيو/ حزيران مؤتمر حول «القانون والعمل الإنساني في عالم اليوم» نظمه مستشار اللجنة الدولية للعالم الإسلامي، ومقره في عمان، وشارك فيه متطوعون وموظفون محليون من فرع الهلال الأحمر المغربي في فاس، كما حضره أيضا أكاديميون وممثلون عن المجتمع المدني.

## بعثات اللجنة الدولية للصليب الأحمر في المنطقة

**القاهرة:** 31 شارع جدة، حي المهندسين، القاهرة 11412، ج.م.ع
هاتف: 37619332/ 33379282 (202++) فاكس: 37618487 (202++)
البريد الإلكتروني: cairo.cai@icrc.org

**عمّان:** دير غبار، حي الديار، شارع يوسف أبو شحوت صندوق بريد 9058 عمان 111191
هاتف: 5921472/ 4604300 (9626++) فاكس: 5921460 (9626++)
البريد الإلكتروني: amman.amm@icrc.org

**بغداد:** (بغداد) العلوية: ص.ب 3317
هاتف: 01922464 (79 964++) فاكس: 846262 (761 873++)
(عمان): ص.ب 9058 عمان 11191 الأردن
هاتف: 5523994 (6 962++) فاكس: 5523954 (6 962++)
البريد الإلكتروني: iraq.iqs@icrc.org

**دمشق:** أبو رمانة، ساحة الروضة، شارع مصر، بناء الجرد، الطابق الثالث صندوق بريد 3579
هاتف: 3310476/ 3339034(96311++) فاكس: 3310441 (96311++)
البريد الإلكتروني: damas.dam@icrc.org

**الأراضي الفلسطينية المحتلة:** شارع النبي شعيب رقم (8) منطقة الشيخ جراح، القدس 91202، صندوق بريد 20253
هاتف: 5828441/ 5828845/ 5828802 (9722++) فاكس: 5811375 (9722++)
البريد الإلكتروني: jerusalem.jer@icrc.org

**بيروت:** بناية منصور، شارع السادات، الحمرا، صندوق بريد 7188–11
هاتف: 739297/ 739298/ 739299(9611++) فاكس: 740087(9611++)
البريد الإلكتروني: beyrouth.bey@icrc.org

**الخرطوم:** شارع رقم 33 منزل رقم 16 العمارات الامتداد الجديد. صندوق بريد 1831
هاتف: 65/ 476464 (249183) ++ (خمس خطوط) فاكس: 467709 (249183) ++
البريد الإلكتروني: khartoum.kha@icrc.org

**تونس:** المندوبية الإقليمية بتونس، (تغطي أنشطتها: تونس – المغرب – ليبيا – موريتانيا – الصحراء الغربية) رواق البحيرة عمارة آ، نهج بحيرة كنستنس 1053 ضفاف البحيرة
هاتف: 960179/ 960154/ 960458 (21671++) فاكس: 960156 (21671++)
البريد الإلكتروني: tunis.tun@icrc.org

**الجزائر:** 18 نهج سويداني بوجمعة 16070. المرادية. الجزائر
هاتف: 80 28 2160 (213++) فاكس: 82 24 2148 (213++)
البريد الإلكتروني: alger.alg@icrc.org

**صنعاء:** شارع بغداد، شارع رقم 19، منزل رقم 20 صندوق بريد: 2267
هاتف: 4/ 467873 / 44 38 21 (9671++) فاكس: 75 78 46 (9671++)
البريد الإلكتروني: sanaa.san@icrc.org

**الكويت:** البعثة الإقليمية لدول مجلس التعاون الخليجي (تغطي أنشطتها: الكويت، السعودية، الإمارات العربية المتحدة، قطر، البحرين، سلطنة عمان) الجابرية، قطعة 5، شارع رقم 3، منزل رقم 32 صندوق بريد: 28078 – الصفاة 13141
هاتف: 5322061/ 5322062/ 5322098 (965++) فاكس: 5324598 (965++)
البريد الإلكتروني: koweit.kow@icrc.org

**بعثة الصومال:** Denis Pritt Road، صندوق بريد: 73226 – 00200 نيروبي، كينيا
هاتف: 5/ 4/ 3963 – 9/ 8/ 2713367 (25420++) فاكس: 13731 2027 254 ++
البريد الإلكتروني: somalia.sok@icrc.org

**طهران:** كمبته بين المللي صليب سرخ، تهران – شارع أفريقا – شارع تابان شرقي – رقم 75
هاتف:4–5503 8878 21 98++ فاكس: 3370 8878 21 98++
البريد الإلكتروني: tehran.teh@icrc.org

**موريتانيا:** صندوق بريد: 5110، نواكشوط
هاتف: 38 447 52 222++ فاكس: 97 446 52 222++

# الرحيل الأخير*

علي يوسف النوا*
الرسم : رافع الناصري**

**حصلت هذه القصة على الجائزة الثالثة في مسابقة "أفضل قصة إنسانية" التي نظمتها اللجنة الدولية للصليب الأحمر خلال العام 2007. وكانت قد نشرت في جريدة «البعث» السورية بتاريخ 29/10/2007.**

**لم** يدرك أيهما يخرج من الآخر، هو .. أم هذا الفرات. النهر الحزين من الأزل، لا .. ليس من النهر فقط.. بل من هذه المنطقة كلها، إلى متى...؟؟ لا يدري؟؟ كانت الحافلة التي تقله وزوجته، وما بقي من الأولاد بمصادفة سعيدة، تنهب الطريق الذي يربط العراق بدمشق نهبا، وكأنما كانت تهرب من شياطين لا مرئيين يطاردونها على ذلك الطريق.

كان الفرات الآن ينساب من مقلتيه حارا بطعم الملوحة وكان يشعر بأن فراته ينبع من قلبه، وليس كما تعلمه في المدرسة وفق ما كان يردد على مسامعهم أستاذ الجغرافية الذي قتل منذ سنين عديدة على إحدى جبهات القتال هناك، حيث ما دعي ذات يوم بالبوابة الشرقية للأمة.

قبل أن يترك منزله، الذي أحالته إحدى القنابل الذكية جدا، إلى رماد كان لا يزال يعتقد أن هناك بصيص أمل بالبقاء هنا!! الآن وبعد أن رأى بأم عينه مدى الدمار الذي لحق بالبيت، وبواحة النخل التي تعتبر مصدر رزقه الوحيد إلى جانب بعض السمك الذي يجود به الفرات، أيقن بأنه لا مفر من الرحيل، ولكن إلى أين؟ قالت زوجته إلى أي مكان آخر.. ولكن غير هذا المكان الذي أحالته قوات الاحتلال وبعض الموتورين والمجرمين وأولياء الموت المتنقل بالمصادفة إلى مجرد ساحات خراب!.

كان يشعر بأنه يخرج مثلما الجنين حين يخرج من رحم أمه. وكلما أوغلت الحافلة في عمق هذا الجماد، كلما أحس قرب ودنو لحظة الولادة. ليس له فقط وإنما لأطفاله الذين كانوا ينظرون إلى الطريق الطويلة وعلائم القلق مرتسمة على وجوههم. فمنذ أسبوعين تماما كانوا شهودا على دفن ثلاثة من إخوتهم الذين أحالتهم تلك القنبلة الذكية جدا، والتي صنعت في مكان ما في أقاصي الأرض وكان من المفترض أن تقع على أحد المواقع العسكرية المنتشرة على أرض العراق الفسيح، إلى مجرد أشلاء آدمية. كان ينظر إلى ساعته بين الفينة والأخرى وينظر إلى الشمس التي كادت أن تتواري خلف تلك التلال البعيدة، كان يتمنى أن يسرع الغرب بالمجئ على جناح الليل يقف حاجزا أمام سطوة الموت المجاني على الطرقات.. ذلك الموت الذي حذره منه بعض الأصدقاء والذي يشبه إلى حد بعيد موت الصدفة. وقد خبره جيدا هنا، حين كان يقطف ثمار النخيل، وسمع ذلك الانفجار الرهيب.

كان كل من في الحافلة صامتا حتى السائق لم يضع في "مسجلة" الحافلة شريط أغنيات ربما لمعرفته الأكيدة بما تعرض له ركاب حافلته قبل اتخاذهم القرار بالرحيل، أطفال وعجائز وبعض الرجال الذين انكسروا بالظرف الساري المفعول، تجمعهم الآن خيوط مأساة في حافلة تسير على طريق أسفلتي طويل، مثلما كانت تجمعهم فيما مضى خيوط مأساة تمتد من أقصى الوطن إلى أقصى الوطن.

لم يكن السيد عبد الستار يعرف ماذا عليه أن يفعل غدا حينما يصل دمشق، تلك المدينة التي طالما أحبها وتفاعل مع كل الشدائد التي تعرضت لها فيما مضى، ولكنه كان تواقا للوصول إليها في نهاية هذه الرحلة. مضت أكثر من أربع ساعات على انطلاق الحافلة من هناك من قلب بغداد المحتضر، كان السيد عبد الستار ملقيا برأسه خلالها إلى مسند المقعد، وكانت دموعه أو فراته قد جف تماما، ولم تكن زوجته قد لاحظت ومنذ ساعة تقريبا تنهيدته العميقة التي غفى بعدها بهدوء .... غير أنها استغربت، حين اقتربت الحافلة من نقطة الحدود ووضعت يدها على ساعده بغية إيقاظه، كانت يده باردة. توقفت الحافلة تماما ونزل الجميع إلى نقطة العبور التي تضج بالحياة باستثناء السيد عبد الستار، فقد بقي غافيا على مقعده وحوله زوجته وأطفاله الأربعة. كان يبتسم بهدوء وهو ينظر إلى الحافلة من الأعلى وقد اطمأن لوصول أطفاله وزوجته إلى بر الأمان. نعم لقد كان إحساسه في محله، فالرحم الذي كان يحس بخروجه منه كان رحم الحياة! ●

(*) صحافي سوري
(**) فنّان عراقي وأستاذ في فن الجرافيك

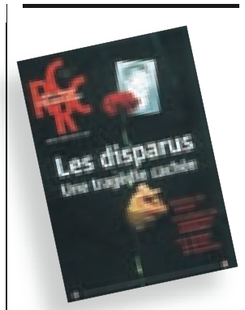


## مجلة "الصليب الأحمر والهلال الأحمر"

"المفقودون: مأساة مخفية" هو موضوع غلاف العدد الأول من مجلة "حركة الصليب الأحمر والهلال الأحمر" لسنة 2008 باللغة الفرنسية. ويتناول العدد قضية المفقودين في العالم والمأساة التي تصيب عائلاتهم. ويضم نقاشا حول ضرورة إضفاء طابع أكثر إنسانية على قضايا المناخ من خلال تسليط الضوء أكثر على تأثيراتها على حياة الكثيرين لاسيما الفقراء. كذلك يعرض لكيفية تحول الرياضة إلى وسيلة للعمل الإنساني من خلال الاتفاقية التي أبرمتها اللجنة الدولية مع الاتحاد الدولي لكرة القدم.

## القانون لحملة السلاح

تستخدم القوة اليوم في حالات كثيرة متباينة من قبل العديد من حملة السلاح. ويهدف هذا الكتيب لتقديم نظرة عامة إلى السلطات وكبار القادة من بين حملة السلاح عما يطلق عليه اسم عملية «إدماج القانون». وهي عملية تحويل القواعد القانونية إلى آليات أو تدابير ملموسة لضمان الامتثال لها من قبل حملة السلاح.

## تاريخ اللجنة مصورًا

تعد "قصة فكرة" مطبوعة جديدة شيقة تسرد قصة ميلاد الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر وتاريخهما حتى يومنا هذا من خلال قصة مصورة نفذها الرسام الفرنسي الشهير جان جيرو Jean Giraud الذي يعرف باسم Moebius .

وصدرت هذه المطبوعة باللغات العربية والانكليزية والفرنسية والإسبانية بجهد مشترك من اللجنة الدولية للصليب الأحمر والاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر.

ويمكن الحصول على نسخ مجانية منها من المكتب الإعلامي الإقليمي في القاهرة ومن بعثات اللجنة الدولية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

## محرومون من الحرية

يقول نيلسون مانديلا «إن الشيء المهم لا يتمثل في مجرد ما تصنعه اللجنة الدولية للصليب الأحمر من خير، وإنما يتمثل بقدر أكبر فيما تمنعه من شر». وهو بالضبط ما تحاول اللجنة الدولية منعه من خلال زياراتها للمحتجزين. ويقدم هذا الكتيب نظرة عامة عن دور الحماية الذي تقوم به اللجنة الدولية تجاه المحرومين من حريتهم. وهو يعرض للقوانين الدولية التي تحمي السجناء ودور اللجنة الدولية تجاه هذه الفئة لاسيما فيما خص زيارة السجون أثناء النزاعات المسلحة وعملية تقصي الحقائق التي تقوم بها ثم التدخل لدى السلطات؛ والتقارير السرية التي تضعها والحوار الذي تجريه مع السلطات لتحسين ظروف الاحتجاز. كذلك يتناول الأهداف الإنسانية الأخرى للزيارة لاسيما إعادة الروابط العائلية بين المحتجزين وأهاليهم والحماية الخاصة التي تقدمها للأطفال.

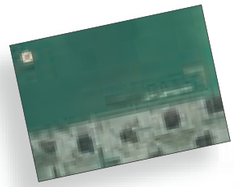

## ضمان احترام الأطراف المتناحرة للقانون

تتميز أكثر النزاعات المسلحة انتشارا اليوم بطابع غير دولي. وهي تشمل العمليات العدائية التي تحصل داخل حدود الدول بين القوات المسلحة الحكومية وجماعات مسلحة منظمة من غير الدولة، أو فيما بين الجماعات نفسها.

ويكمن الغرض من هذه المطبوعة في إمداد الدول والجماعات المسلحة والجهات الفاعلة في المجال الإنساني وغيرها من الجهات التي تعمل مع الأطراف المشاركة في النزاعات المسلحة غير الدولية بمقترحات عن السبل التي تسمح بتنفيذ القانون على نحو أفضل.

AL-INSANI . 43 . Summer 2008
Food Crisis: A Poorer and More Starved World

## Contents

• **Food Crisis: A Poorer, More Starved and Less Stable World** By: **Zeinab Ghosn**
The world today faces a dangerous food crisis because of the increasing scarcity of food products coupled with their constantly higher prices. And although experts can point to environmental or economic causes, it seems that both globalization, and the new food habits it has introduced, as well as the use of food to produce energy all contribute to sharpening the crisis.

• **Food Crisis: a Growing Humanitarian Cost**
The International Red Cross Red Crescent Movement is scaling up its preparedness to confront an unprecedented food crisis. In this context, Barbara Boyle Saidi, Head of ICRC Economic Security Unit, speaks about the potential causes of this problem and the necessary strategies to surmount it.

• **Hospitals in Gaza and the West Bank: Patients Suffer and Equipment is Rare** By: **Helge Kvam**, ICRC Media Relations Officer, Jerusalem
The restrictions on the freedom of movement in the West Bank and Gaza, as a result of checkpoints and the West Bank barrier, have had serious effects on the functioning of hospitals and health care centers. Consequently the quality of the medical care afforded to patients has deteriorated, while spare parts for hospital equipment have run short.

• **Mesopotamia is Yearning for Water** By: **Dr. Taleb Al Badrani**, Iraqi writer, Political Science Specialist
Although Iraq is rich in water resources, most of the country's population is in dire need of potable water. The crisis is partly the result of the war in 2003, but the volatile political and security situation have contributed to the re-emergence of diseases that had disappeared for decades.

• **Lost Dreams in the Buffer Zone** By: **Ruba Affani**, ICRC Communication and Media Officer, Amman
Since 2005, a group of families from Iranian-Kurdish origin has been living in tragic circumstances in a camp on the borders between Jordan and Iraq. Their calamity remains unresolved.

• **"Al Bared River" Camp Struggles for Survival** By: **Samar Al Qadi**, Communication Officer, ICRC Beirut
A year after an armed conflict left the Palestinian refugee camp Al-Bared in rubbles in Northern Lebanon; its population still lacks the means of subsistence and suffers from the loss of their homes and property.

• **Phone Call from Guantanamo**
Two different stories from Yemen and Tunisia about phone calls between detainees in Guantanamo and their relatives back home, a way of communication facilitated by the ICRC with the approval of the detaining authorities.

• **Mohamed Returns Back to Life** By: **Hatem Fadlullah**, ICRC protection Delegate, ICRC Delegation in Sanaa

• **Reunited across Thousands of Miles** By: **Soumaya Beltifa**, Communication Department, ICRC Delegation in Tunis

• **Cluster Munitions: Historic Convention for the Protection of Civilians**
In May 2008, and during a diplomatic conference in Dublin, 110 states agreed on a treaty to ban the use, production and stockpiling of cluster munitions.

**Special File: Journalists: Victims of Weapons and Weapons of War**
What makes journalists and photographers such soft targets during wars? Who protects them and guarantees their neutrality? Despite the protection afforded to them in international humanitarian law, a growing number of journalists are victims of armed conflicts. This special file addresses the question of journalists in war situations, violations against them and their use by warring parties as instruments of pressure.

• **Arab Media: Victims and Weapons** By: **Lawrence Pintak**, Director of the Electronic Press Center (Web-CT) at the American University of Cairo
A look into how much the media has become an instrument of war in the Middle East, and how a political or warring party can target media institutions affiliated with another party.

• **International Humanitarian Law and the Protection of Media Personnel in Armed Conflicts** By: **Knut Dormann**, Head of ICRC Legal Division, ICRC Geneva
A reading into the legal provisions granting protection to media personnel during armed conflicts. The article shows how violations against journalists can be avoided if those legal provisions were applied more diligently.

• **Provocative Violence in the Arab Television Space** By: **Salam Al Kawakibi**, Syrian political science researcher
With the multiplication of Arab satellite and short wave broadcasting in the Arab world, many hoped that the media landscape would become a space for openness and debate. The author wonders to what extent such a change really took place.

• **The Journalist 's Life is Always at Risk** By: **Ibrahim Salama**, Iraqi journalist
Iraq has become the most dangerous spot for journalists today, with tens of casualties among media staff since 2003. The author of this article gives his own version of the situation, having himself escaped death several times in the past few years.

• **When the Journalist Becomes a Soldier in the Battlefield** By: **Yasser Abdel Aziz**, Egyptian expert and media advisor
Many have glorified wars in their writings and positions, while others have been accused of treason in their attempts to promote peace. How big a role do the media play in the making of such judgments?

• **Conflicts and Radio Stations** By: **Khaled Mansour**, Egyptian writer currently working as a media director of a UN mission
The media generally and radio broadcasting in particular, plays a major role in mobilizing people during conflicts. From spreading selective information to creating moral justification for certain actions, the media can be held responsible for fabricating historical facts and for fuelling violence.

• **Assisting Journalists in Dangerous Places: the ICRC Hotline** By: **Dorothea Krimitsas**, ICRC Press Attachée –
In 1985, the ICRC assigned a hotline for journalists to call when they find themselves in dangerous situations.

• **ICRC Blog on the Internet** By: **Frederic Joli**, ICRC Spokesperson in France and blogger of "L'humanitaire dans tous ses états" (The Humanitarian in All Circumstances).
The ICRC delegation in France created a year ago a blog entitled "humanitarian in all circumstances", a unique way of addressing humanitarian issues over the internet.

• **ICRC films on "YouTube"**
Early in 2008, the ICRC concluded a partnership with "YouTube" website, specialized in broadcasting videos. This was an opportunity to display ICRC films to Internet viewers.

• **Myanmar: The Worst Humanitarian Disaster after Tsunami**
Cyclone Nargis, which hit Myanmar (or Burma) in Southeast Asia on 4 May 2008, left more than 77 thousand people dead and no less than 55 thousand missing. The ICRC contributed to alleviating the suffering of the affected population through assistance provided to the devastated communities.

• **One Woman Trying to Make Peace out of the Wrecks of Demolition** By: **Naela Khalil**, Palestinian Journalist
The story of Sima Anbass, a released Palestinian detainee, and her endeavor towards peace won the second prize in the Best Humanitarian Story competition organized by the ICRC in 2007.

• **Iranian Cinema: on War and the Search for Peace** By: **Mehrzad Danesh**, Iranian Cinema Critic working in the "Film Magazine"
With the outbreak of the Iraq-Iran war in the eighties of last century, war became a major topic for the Iranian film industry. The trend continued, albeit with a new approach, even after the war ended in 1989.

• **Poetry: Crying between the Hands of Zarqaa Al Yamama** (*) By: **Amal Donkol**, Egyptian poet (1940 – 1983).
The twenty-first of May 2008 marks the twenty-fifth anniversary of the death of Donkol.

• **Without Retouches: The Last Departure** By: **Ali Youssef Al Naoua**, Syrian journalist
This story was awarded third prize in the "best humanitarian story" competition organized by ICRC in 2007.

• **Around the World**

(*) A character of ancient Arabian mythology, who lived in Al Yamama region (part of the Arabian Pennisula), she had blue eyes and was so far-sighted that she could see a traveling person three nights away, it was said.

## Editorial

**A ruthless summer?**

*Another summer hits us not only with its heat wave but also with the realisation that what we are doing to our planet is now officially turning against us. Not only are the environmental and climate changes affecting the temperatures –both in summer and winter- but they are now affecting what we eat and how easy our access to food is, and will be.*

*Global warming, the melting of the glaciers, the ozone layer…how many times have we heard those words over the past decade? How much have we changed our lifestyles to accommodate planet earth and Mother Nature? Not much, despite the outcry of environmentalists and the Green parties. At best, and especially in our region, we look at environmentalists as romantics; at worst, we just ignore their warnings.*

*But in the past few weeks, alarm bells have started ringing, from humanitarian and other organisations, announcing that things will no longer be as they were: food habits will need to change, diets will grow less nutritious, and as usual the poorer will be most affected.*

*Al-Insani looks in depth into this tragic development through the cover story, and sends out an SOS to anyone who can make a difference, no matter how small: recycling paper, using less plastic, or any small act that can help protect the air we breathe…*

*And speaking of the air we breathe, we seem also to be breathing information as we inhale those days, with the multiplication of media organisations and new outlets. Everywhere we turn our heads; we are bombarded with stories, counter-stories, debates and opinions. We thought that in this issue, it was worth exploring the role of the media in today's conflicts: has the media become part of conflicts now? May it sometimes foment the conflict or does it, as it often states, aim at curbing the differences and building bridges? A variety of leading media staff and researchers has helped us look at this question from its different angles. It is no secret that the modern way of bringing reality into one's own house makes us all involved, more or less directly, in any event. It has therefore become increasingly difficult to turn a blind eye (or a deaf ear) to any political issue, especially in a region, like the Middle East, highly charged with emotions and opinions.*

*Is this good or bad, one might wonder? Is it constructive to feel one is part of a conflict, either because of constant live coverage or for being often exposed to heated opinions and inflammatory language? There seems to be no clear-cut answer. The mushrooming of new sources of information (TV, web, blogs or even SMS) has certainly allowed more people to be involved in general debates (provided of course they have the basic tools for such access). However, by having such platforms, have people become more aware of "the other" or have they become more antagonistic to "the other's opinion"? And what about those who do not have access to modern media, are they now completely alienated from general debates and from participating in the making of what is known as "public opinion"?*

*The special file in this issue raises these questions, and many others, about the role the media plays when covering a conflict, and the manner in which it affects recipients of information. And of course, when we speak about conflicts we cannot help but shed light on the complex situations in our region: from the health situation in Gaza to the scarcity of clean water in Iraq, we wonder as usual how we can make life more bearable for people who suffer from situations of violence and unrest. At the ICRC, we welcomed the summer with our sleeves rolled high, for we know summers can be ruthless.*

*"Al-Insani"*